دراسة فى الأديان

(١)

الوحى والملائكة

فى

اليهودية والمسيحية والإسلام



لواء أحمد عبد الوهاب

الناشر

مكتبة وهبة

١٤ شارع الجمهورية - عابدين

القاهرة - ت - ٣٩١٧٤٧٠

دراسة فى الأديان
(١)

الوحى والملائكة
فى
اليهودية والمسيحية والإسلام

لواء أحمد عبد الوهاب

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة - ت - ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الأولى

ربيــع الآخر ـ ١٣٩٩ هـ
مـــــارس ـ ١٩٧٩ م

هـــذه السلسلة :

بسم الله

الذى قال فى التوراة :

((انا الرب الهك .. لا يكن لك آلهـة أخرى))

وقال على لسان أشعياء :

((قبلى لم يصور اله وبعدى لا يكون .. انا الرب ولا اله غيرى))

وصلى اليه المسيح قائلا فى الانجيل :

((وهذه هى الحياة الأبدية : أن يعرفوك انت الاله الحقيقى وحدك ـ ويسوع المسيح الذى أرسلته)) .

وقال لنبيه فى القــرآن :

((فاعلم انه لا اله الا الله)) .

((والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم)) .

((قل : انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد ، فمن كان يرجو لقــاء ربه ، فليعمل عملا صالحا ، ولا يشرك بعبادة ربه احدا)) .

بسم الله الواحد الأحد الذى تنزه عن الشريك والمثل ، تبدأ هــذه **السلسلة : ((دراســة الأديان)) ـ لتــكون دعــوة ((الى الله على بصــيرة))** **فى زمن تلح فيه مطالب الأمن والســـلام على الانسان أن يعــود سريعا الى الله .**

***

تقـــديم

ماذا يريد الانسان ... ؟

انه يريد ــ أولا ــ تحقيق مطالبه الفطرية والغريزية ...

ثم هو يريد الأمن والسلام والحرية ، والفرح ، والمتعة ، والحيـــاة المستمرة ...

انه ــ باختصار ــ يريد السعادة الأبدية .

وهو بالطبـــع لا يريد مضادات الســـعادة الأبدية من أحزان وآلام وموت وعذاب ...

ان الانسان لا يريد الشقاء .

والمؤمنون ــ كبشر ــ ليسوا خروجا عن هذه القاعدة ، فهم يبحثون عن السعادة ويسعون جاهدين من أجلها ، وان اختلفت مفاهيمها لديهم ــ في بعض الأحيان ــ عن تلك التي يسعى من أجلها غيرهم .

* *

وتحـــدثنا الكتب المقدســـة عما يسعد الانسان ويشقيه ، فتعـــده بالأولى اذا سار مع الله ، وتوعده بالثانية اذا تمـــرد على المنهج الالهى ، وجعل الشيطان له قرينـــا .

ونتبين من التـــوراة مطالب السعادة التى يرجوها الاسرائيليون ، وذلك من أقوال الرب التى جاء بها موسى :

« اذا سلكتم فى فرائضى وحفظتم وصاياى وعملتم بها : أعطى مطركم فى حينه ، وتعطى الأرض غلتها .. فتأكلون خبزكم وتسكنون فى أرضكم آمنين .. وتطـــردون أعداءكم بالسيف .. والتفت اليـــكم واثمركم وافى ميثاقى معكم .. وأكون لكم الهـــا وتكونون لى شعبا .

ــ لاويين ٢٦ : ٣ ــ ١٢ »

كما تحدد لنـــا التـــوراة عناصر الشقاء التى يحذرها الاسرائيليون ، من قول الرب :

« لكن ان لم تسمعوا لى ، ولم تعملوا كل هذه الوصايا ، وان رفضتم فرائضى ، وكرهت أنفسكم أحكامى .. فانى أعمل هذه بكم : أسلط عليكم رعبا وســـلا وحمى تفنى العينين وتتلف النفس ، وتزرعون باطلا زرعكم فيأكله أعداؤكم وأجعل وجهى ضـــدكم فتنهزمون أمام أعدائكم ويتسلط عليكم مبغضوكم .. واصير سماءكم كالحديد وارضكم كالنحاس .. واصير مدنكم خربة .. وأذريكم بين الامم ، وأجرد وراءكم السيف فتصير أرضكم

موحشة .. والباقون منكم القى الجبانة فى قلوبهم فى أرض أعدائهم .. فتهلكون بين الشعوب وتأكلكم ارض أعدائكم — لاويين ٢٦ : ١٤—٣٨ » .

ومن هنا نتبين أن السعادة والشقاء فى دين الاسرائيليين — وهو ما اصطلح على تسميته باليهودية — انما هى امور تتعلق بالحياة الدنيا .

فاليهودى لا يرجو الا نعيم الدنيا ، وهو لا يحذر الا شقاءها .

❋

اما الانجيل ، فلا ترجى فيه السعادة الا فى الحياة الآخرة ، فلقد قال المسيح فى موعظته الشهيرة :

« طوباكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله . طوباكم أيها الجياع الآن لأنكم تشبعون ، طوباكم أيها الباكون الآن لأنكم ستضحكون — لوقا ٦ : ٢٠ — ٢١ » .

« لا تكنزوا لكم كنوزا على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ .. بل اكنزوا لكم كنوزا فى السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ — متى ٦ : ١٩ — ٢٠ » .

كذلك لا يحذر الانسان شقاء الا شقاء الآخرة :

« ان أعثرتك يدك فاقطعها . خير لك أن تدخل الحياة اقطع من ان تكون لك يدان وتمضي الى جهنم الى النار التى لا تطفأ ، حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ .

وان أعثرتك رجلك فاقطعها . خير لك أن تدخل الحياة أعرج من أن تكون لك رجلان وتطرح فى جهنم فى النار التى لا تطفأ ، حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ .

وان أعثرتك عينك فاقلعها . خير لك أن تدخل ملكوت الله اعور من أن تكون لك عينان وتطرح فى جهنم النار ، حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ — مرقس ٩ : ٤٣ — ٤٨ » .

ويذكر الانجيل بوضوح على لسان المسيح ، انه محال الجمع بين نعيمي الدنيا والآخرة . ولذلك كانت حملته شديدة على الأغنياء واصحاب الممتلكات الدنيوية ، اذ اعتبرهم قد استوفوا نعيمهم فى الدنيا ، ولم يبق للأغلبية الساحقة منهم — ان لم يكونوا جميعهم — سوى عذاب الآخرة :

« لا يقدر احد أن يخدم سيدين .. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال .

لذلك اقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وما تشربون ، ولا لأجسادكم بما تلبسون — متى ٦ : ٢٤ — ٢٥ »

« ما أعسر دخول ذوى الأملاك الى ملكوت الله .. مرور جمل من ثقب ابرة ايسر من أن يدخل غنى الى ملكوت الله – مرقس.١٠:٢٣–٢٥».

❋

واما فى القرآن ، فيستطيع المسلم أن يحصل على السعادة فى الدنيا والآخرة :

« فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا ، وما له فى الآخرة من خلاق ، ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب »
(البقرة : ٢٠٠ – ٢٠١)

« وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما .. والذين لا يدعون مع الله الها آخر ، ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ، ولا يزنون .. والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ، واجعلنا للمتقين اماما .

أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما .. خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما » . (الفرقان : ٦٣ – ٧٦) .

« قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » .
(الأعراف : ٣٢)

ولقد جمع ابراهيم أبو الأنبياء بين خيرى الدنيا والآخرة ، اذ قال الله فيه :

« جعلنا فى ذريته النبوة والكتاب ، وآتيناه اجره فى الدنيا ، وانه فى الآخرة لمن الصالحين . (العنكبوت : ٢٧)

وعلى المسلم أن يقيم علاقات متوازنة بين مطالب الدنيا والآخرة كل على قدره ، فيحصل بذلك على السعادة فيهما ، ولذلك سجل القرآن الكريم هذا القول الحكيم :

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا » . (القصص : ٧٧)

ولم يكلف المؤمنون بالله أن يعذبوا انفسهم فى الدنيا على أن يعوضوا عن ذلك فى الآخرة ، فلهم أن يعملوا لسعادتهم فى الدنيا بجانب عملهم لسعادة الآخرة :

« ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا ، لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون » . (الأعراف:٩٦).

وكان قول هود لقومه عاد :

« يا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ، يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين » . (هود : ٥٢)

وحين يتمرد الانسان على منهج الله فعليه ان يتوقع الشقاء ، لا فى الآخرة فحسب بل فى الدنيا كذلك :

« ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى النـاس ، ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون » . (الروم : ٤١)

« ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنـوا ، لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة » . (النور : ١٩)

« فان يتوبوا يك خـيرا لهم ، وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما فى الدنيا والآخرة » . (التوبة : ٧٤)

هذا — ولمـا كانت الحياة الآخرة حياة الأبد ، وكانت الحياة الدنيا قصيرة فانية ، كان على المؤمن العاقل أن يوجـه همه الى الآخـرة وأن يستخدم الدنيا وسـيلة تعينه على تحقيـق سـعادته فى الآخـرة . **من اجل ذلك كان على المسلم ان يعترف بسعادة الدنيا والآخرة ، ولكن عليه ان يؤثر ما فى الآخرة على الدنيـا ، وعليه كذلك ان يعترف بشقاء الدنيا والآخرة ، الا ان ما فى الآخرة اشد واقسى :**

« فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا . فان الجحيم هى المـأوى .

واما من خاف مقام ربه ، ونهى النفس عن الهوى . فان الجنـة هى المـأوى » . (النازعات : ٣٧ — ٤١)

« تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا، والعاقبة للمتقين » . (القصص : ٨٣)

« الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم ، أولئك لهم الأمن ، وهم مهتدون » . (الأنعام : ٨٢)

« لهم دار السـلام عند ربهم ، وهو وليهم بمـا كانوا يعملون » . (الأنعام : ١٢٧)

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم . خالدين فيها ، وعد الله حقا ، وهو العزيز الحكيم » . (لقمان : ٨ — ٩)

❋ ❋

وخلاصة القول فى النظر الى سعادة الانسان وشقائه ، أنها فى اليهودية دنيوية بحتة ، وهى فى المسيحية اخروية فحسب ، بينما هى فى الاسـلام تجمع بين هذا وذاك مع ترجيح ما فى الآخرة على ما فى الدنيا .

وايا كان الحال ، فكيف يحقق الانسان المؤمن بالله سعادته المنشودة او على الأقل كيف يتخلص من الشقاء فى حاضره ومستقبله ؟

لقد اجمعت الكتب المقدســـة على ان المدخل الوحيد لذلك هو باب البر ومشتقاته .

على الانسان ان يكون بارا لكى تلفظ حياته الشــقاء ويحيــا ابدا فى النعيم .

عندئذ يتحرر من كل الشرور والأهوال ، ولو كانت أهوال الآخرة :

« لا يحزنهم الفزع الأكبر ، وتتلقاهم الملائكة ، هذا يومكم الذى كنتم توعدون » . (الأنبياء : ١٠٣)

فالبر صفة من صفات الله ، بهذا قال المسيح :

« أيها (الرب) البار ، ان العــالم لم يعرفك .. وهؤلاء عرفوا انك ارسلتنى — (يوحنا ١٧ : ٢٥) » .

وكان الأنبياء بررة ، هكذا « كان نوح رجلا بارا كاملا فى أجياله . وسار نوح مع الله — (تكوين ٦ : ٩) » .

ولذلك لم يهلكه الله مع الهالكين فى الطوفان :

« وقال الرب لنــوح ادخل انت وجميــع بيتك الى الفلك ، لأنى اياك رأيت بارا لدى فى هــذا الجيل — (تكوين ٧ : ١) » .

وكان ابراهيم بارا ، وقد استحق هذا اللقب وما يترتب عليـــه من عطاء الهى كريم ، بعد أن آمن بصدق الوعد الالهى بتكثير نسله ، فى الوقت الذى ما زال فيه عقيما ، وكان نسله بظهر الغيب :

« أخرجه (الرب) الى خارج وقال له أنظــر الى السماء وعد النجوم . ان استطعت أن تعدها وقال له هكذا يكون نسلك .

فآمن بالرب ، فحسبه له برا — (تكوين ١٥ : ٥ — ٦) » .

وفى هــذا يقول بولس :

« اذ لم يكن (ابراهيم) ضعيفا فى الايمان لم يعتبر جسده وهو قد صار مماتا اذا كان ابن نحــو مئــة ســنة .. ولا بعدم ايمــان فى وعد الله ، بل تقوى بالايمان معطيا مجدا لله وتيقن أن ما وعد به هو قادر أن يفعله أيضا . ولذلك ايضا حسب له برا — (رومية ٤: ١٩—٢٢) » .

وشهد ابراهيم للوط ومن معه من المؤمنين بأنهم ابرار ، ولذلك كان يجادل الملاك الذى جاء لاهلاك المدينة الظالمــة ويقول له :

« أفتهلك البار مع الأثيم . عسى أن يكون خمسون بارا فى المدينة ، أفتهلك المكان ولا تصفح عنه من أجل الخمسين بارا الذين فيه ؟ ! — (تكوين ١٨ : ٢٣ — ٢٤) » .

وتقول المزامير :

« لا تقوم الأشرار فى الدين ولا الخطاة فى جماعة الأبرار . لأن الرب يعلم طريق الأبرار ، أما طريق الأشرار فتهلك — مزمور ١ : ٥ — ٦ » .

« كلمة الرب مستقيمة ، وكل صنعه بالأمانة ، يحسب البر والعدل — مزمور ٣٣ : ٤ — ٥ » .

وكان يوسف النجار خطيب مريم بارا :

أذ « لما وجدت (مريم) حبلى من الروح القدس ، فيوسف رجلها اذ كان بارا ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سرا — متى ١ : ١٨ — ١٩ » .

وكانت عقيدة المؤمنين بالمسيح فى عصره أنه انسان بار :

« فلما رأى قائد المئة ما كان ، مجد الله قائلا : بالحقيقة كان هذا الانسان بارا — لوقا ٢٣ : ٤٧ » .

وفى القرآن الكريم نجد أن الأصل اللغوى للبر يكون احدى صفات الحق سبحانه :

« انا كنا من قبل ندعوه ، انه هو البر الرحيم » . (الطور : ٢٨)

كما أنه من صفات الملائكة ، كما قال تعالى :

« فمن شاء ذكره . فى صحف مكرمة . مرفوعة مطهرة . بأيدى سفرة . كرام بررة » . (عبس : ١٢ — ١٦)

والبر من صفات الأنبياء ، كما قيل فى شأن يحيى بن زكريا وعيسى بن مريم :

« وبرا بوالديه ، ولم يكن جبارا عصيا » . (مريم : ١٤)

« وبرا بوالدتى ، ولم يجعلنى جبارا شقيا » . (مريم : ٣٢)

ولذلك كان دعاء المؤمنين — وما زال — هو أن يكون عاقبة أمرهم مع الأبرار :

« ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا ، وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار » . (آل عمران : ١٩٣)

وما ذلك الا لأن الأبرار لهم خير عقبى وأكرم مستقر :

« إن الأبرار لفى نعيم . على الأرائك ينظرون . تعرف فى وجوههم نضرة النعيم » . (المطففون : ٢٢ — ٢٤)

ومن المتفق عليه بين المسيحية ، والاسلام أن البر باعتباره السبيل الوحيد للخلاص ، يتركب من نواة هي الايمان تغلفها الأعمال الصالحات. وكما تنهار الذرة اذا تحطمت نواتها ، كذلك ينهار البر اذا فقد الايمان .

« أيها الانسان .. ان الايمان بدون أعمال ميت . الم يتبرر ابراهيم ابونا بالأعمال اذ قدم ابنه .. على المذبح . فترى أن الايمان عمل مع أعماله ، وبالأعمال أكمل الايمان » . (يعقوب ٢ : ٢٠ - ٢٢)

والقول الفصل فى حقيقة البر ، هو ما يقوله القرآن الكريم :

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون » . (البقرة : ١٧٧)

من هذا نتبين ان البر مرادف للتقوى والصدق مع الله ، وان الاساس الذى يقوم عليه هو الايمان بالله . فالايمان اصل الأصول وجوهر الحقيقة ، وبدون الايمان يتحقق دمار الانسان . ولا يتحقق الايمان بالله الا بتوحيده توحيدا خالصا من كل شرك ، وتنزيهه - سبحانه - عن الشبيه والمثيل .

❋

لقد عرفت البشرية الايمان عن طريق الأنبياء والمرسلين ، وهؤلاء تلقوه وحيا من الله بطرق شتى ، كانت للملائكة فيه اليد الطولى . ولقد وصل وحى الله الى الناس شفاها وكتابة ، ثم جمع وسجل فى كتب مقدسة ، ومن ثم كان على المؤمنين بالله ، أن يؤمنوا كذلك بالملائكة والوحى، ودعاة الهدى من الأنبياء والمرسلين ، وأن يؤمنوا بكتب الله المنزلة من عنده الخالصة من التغيير والتبديل .

من اجل ذلك نستفتح هذه السلسلة : دراسة فى الأديان - بهذا الكتاب الذى يتحدث فى فصليه الأول والثانى عن ركيزتين من ركائز الايمان هما : الملائكة والوحى ، ثم زيد عليهما فصل ثالث يتحدث عن الجن ، تلك المخلوقات الخفية التى يعتبر الايمان بها من نتائج الايمان بالدين . **واذا كان انسان القرن العشرين يتطلع الى اكتشاف عوالم غريبة عنه فى جنبات الكون الواسع الرهيب ، فكيف به يتنكر لعالم الجن القريب منه حسبما اخبرته بذلك الكتب المقدسة .**

لا شك أن الايمـان بوجود الجن يحـل للانسان كثيرا من المشـاكل والألغاز التى قد تحير فكره وتوقعه فى متاهات من الالاعيب والأوهام .

ومن المتفق عليه بين اليهودية والمسيحية والاسلام ان قوة الايمـان تتجلى فى التصديق بالأمور الغيبية . وركنه الركين هو الايمـان بالله ، فانه سبحانه لم ينظره احد قط .

« لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير » .
(الأنعام : ١٠٣)

فالحق — جـل جلاله — لا يدركه الانسان الا ببديع خلقـه ، وآثار رحمته ، وجبروت قوته ، وعظائم أمره .

والملائكة والوحى والنبوة تعتبر — بوجـه عام — من الأمور الغيبية التى تتطلب الايمان بها ، وهو ايمان يقوم على كونها حقائق بجانب اعتبارها عوامل ضرورية تدفع الانسان للايمان بالله . وهى حقائق تدرك وليس من اللازم أن ترى ، تمـاما كمـا أن قوى الطبيعة من مغنطيسية وجاذبيـة تدرك ولا ترى ، وقد أوجبت الكتب المقدسة الايمان بها .

« أما الايمان فهو الثقة بما يوحى والايمان بأمور لا ترى ، فانه فى هـذا شهد للقدماء .. بالايمان نوح لمـا أوحى اليه عن أمور لم تر بعـد خاف فبنى فلكا لخـلاص بيته ، فيه دان العـالم وصار وارثا للبر للذى حسب الايمان — عبرانيين ١١ : ١ — ٧ » .

ويقول الانجيل :

« طوبى للذين آمنوا ولم يروا — يوحنا ٢٠ : ٢٩ » .

ونقرأ فى القرآن الكريم بعد فاتحة الكتاب هذه الآيات التى تقـرر جمـاع الأمر كله :

الـم . ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هـدى للمتقين .

الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون .

والذين يؤمنون بما انزل اليك ، وما انزل من قبلك ، وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » (البقرة١—٥).

وفى جميع الأحوال لابد أن يقوم الايمان على برهان ، والا فسـدت العقائد ، وسار كل حسب هواه .

ومن البراهين التى إقامها القـرآن للنـاس على وحدانية الله — تعالى — **قوله :**

« لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون .. أم اتخذوا من دونه آلهة !

قل : هاتوا برهانكم ، هذا ذكر من معى ، وذكر من قبلى ، بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون » . (الأنبياء : ٢٢ - ٢٤)

والله اسأل ان يهدى الناس الى الايمان الحق ، فيتحقق فيهم قول الحق :

« ان الذين قالوا ربنا الله ، ثم استقاموا ، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها ، جزاء بما كانوا يعملون » (١) .

احمد عبد الوهاب

---

(١) سورة الأحقاف : ١٣ - ١٤ .

الفصل الأول

الملائكة

الملائكة

حين يذكر لفظ الملائكة تأتى على الفور الى أفكار السامعين أو القارئين وخيالاتهم صور الخلائق العلوية الجميلة ، المبرأة عن الكدر والخطيئة ، المكللة بالبهاء والجلال .

ولقد اتفق الناس على هذه الصورة المشرقة للملائكة وسطروا ذلك فى نتاج أفكارهم من فنون وآداب .

ونود هنا أن نلمس الحقيقة فى موضوع الملائكة ــ هذه المخلوقات النورانية ــ التى كثر الحديث عنها فى الكتب المقدسة .

*

من الطبيعى أن يرتبط الحديث فى هذا الكتاب عامة ــ وموضوعه : الوحى والملائكة فى اليهودية والمسيحية والاسلام ــ بالحديث عن الله سبحانه . وبادىء ذى بدء نقرر قاعدة أصولية يجب ألا تغيب عن الأذهان ولو للحظة واحدة ، وهى أن :

كل قول أو حديث يستطيع أن يرسم فى أذهان البشر صورة لله ، فهو قول باطل وحديث خرافة يتنافى مع أساسيات العقيدة نقلا ، وعقلا . ويمكن البرهنة على حقيقة هذه القاعدة من نصوص الكتب المقدسة .

تذكر التوراة أن موسى اشتاقت نفسه لرؤية الله ، فكان اليه وحى الله : « لا تقدر أن ترى وجهى ، لأن الانسان لا يرانى ويعيش ــ خروج ٣٣ : ٢٠ » .

ويقول الوحي على لسان أشعياء : « بمن تشبهون الله ، وأى شبه تعادلون به ؟ ! ــ أشعياء ٤٠ : ١٨ » .

ويقول يوحنا : « الله لم ينظره أحد قط ــ الرسالة الأولى٤ : ١٢ » . ويقول القرآن :

« ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير » . (الشورى : ١١)

لقد كان هذا تقريرا لابد منه ، حتى اذا ما اصطدم القارىء بنص من كتاب مقدس يتحدث عن الله كما لو كان يتحدث عن شيء مادي محدود

الأبعاد والخواص ، كان عليه أن يرد الخطأ فى ذلك النص الى قصور فى فهم الكاتب وانحراف فى تفكيره .

* *

الملائكة فى اسفار العهد القـديم

ظهرت الملائكة فى صور بشرية لتخاطب الصالحين من البشر وترشدهم الى ما يصلح امورهم .

فقد جاءت الملائكة ضيوفا الى ابراهيم وهم يتمثلون بشرا من الرجال حتى أنه حسبهم عابرى سبيل فقام يجهز لهم مائدة من الطعام . وفى ذلك يقول سفر التكوين :

« فرفع عينيه ونظر واذا ثلاثة رجال واقفين لديه .. فلما نظر ركض لاستقبالهم ..

وقال .. ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة .. فآخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تجتازون » .

ويدعى كتبة الأسفار أن الملائكة أكلت من طعام ابراهيم ، اذ قالوا له :

« هكذا نفعل كما تكلمت .. واذ كان هو واقفا لديهم تحت الشجرة اكلوا — تكوين ١٨ : ٢ — ٨ » .

ويبدو أن الكلام عن ممارسة الملائكة لمتطلبات الحياة البشرية وطبائعها من إكل وشرب وخلافه — وذلك حين تظهر للناس فى صور بشرية — انما يرجع اساسا الى ما جمح به خيال كتبة سفر التكوين عند حديثهم عن بدء الخليقة واقتباسهم أساطير تقول بحـدوث تزاوج وانجاب نسـل بين الملائكة — الذين دعوهم أبنـاء الله — وبين الفتيات الجميلات من بنـات حواء . وفى هـذا قالوا :

« وحدث لما ابتدأ النـاس يكثرون على الأرض وولد لهم بنـات ان أبنـاء الله رأوا بنـات الناس أنهن حسنات ، فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا . وبعد ذلك أيضا اذ دخـل بنو الله على بنات النـاس وولدن لهم أولادا . هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم .
(تكوين ٦ : ١ — ٤)

*

وجاء ملك فى صــــورة رجل الى أبوى شمشون وهما بعد عاقرين ليبشرهما بوليــــد منتظر : « فتراءى ملاك الرب للمــرأة وقال لهــا ها أنت عاقر لم تلدى ، ولكنك تحبلين وتلدين ابنــا ...

فدخلت المرأة وكلمت رجلهــا قائلة : جاء الى رجل الله ومنظــــره كملاك الله مرهب جدا ..

فقام منــوح وسار وراء امرأته وجاء الى الرجــل .. فقال .. عند مجىء كلامك ماذا يكون حكم الصبى ومعاملته . فقال ملاك الرب لمنوح — قضـــاة ١٣ : ٢ — ١٣ » .

وعندما عرف منوح أن ذلك الرجل هو ملاك الله ، دفعه خياله الى الظن بأنه شاهد الله وعليه بعد ذلك أن ينتظر الموت :

« حينئذ عرف منوح أنه ملاك الرب . فقال منوح لامرأته نمــوت موتا لأننا قد رأينا الله — قضاة ١٣ : ٢١ — ٢٢ » .

والذى حدث بعد ذلك أن منوح وامرأته لم يموتا سريعا كما توقــع لأنه أخطأ الفكر والقول فما رآه لا يمكن أن يكون سوى ملاك الله .

❋

وقد زل قلم كتبة الأسفار حين جعلوا الملائكة أبنــاء الله . فهـــذا سفر أيوب يحكى عن مجمع مقدس فى حضرة رب الســــماء والأرض — سبحانه — حضره الشيطان مع الملائكة وجرت فيه كوميديا الهيـــة تقول بعض فصولها :

« كان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب ، وجاء الشيطان أيضا فى وسطهم . فقال الرب للشيطان من أين جئت .. فأجاب الشيطان الرب وقال من الجولان فى الأرض ومن التمشى فيها ... — ١:٦—٧ ، ٢ : ١ — ٢ » .

❋

وظهر الملاك جبريل فى صورة رجل من البشر ، ليعلم النبى دانيال ويفسر له رؤيا شاهدها فى منامه :

« وكان لمــا رأيت أنا دانيـــال الرؤيا وطلبت المعنى اذا بشــبه انسان واقف قبالتى . وسمعت صوت انسان بين أولاى . فنـــادى وقال يا جبرائيل فهم هذا الرجل الرؤيا . فجاء الى حيث وقفت ولمـا جاء خفت وخررت على وجهى ، فقـــال لى افهم يا ابن آدم ان الرؤيا

لوقت المنتهى واذ كان يتكلم معى كنت مسبخا على وجهى الى الأرض ، فلمسنى وأوقفنى على مقامى ، وقال هأنذا اعرفك ما يكون — دانيال ٨ : ١٥ — ١٩ » .

واستمر دانيال يرى جبريل على هيئة بشرية فى مواقف أخرى :

« وبينما انا اتكلم واصلى واعترف بخطيتى وخطية شعبى .. اذا بالرجل جبرائيل الذى رأيته فى الرؤيا فى الابتداء مطارا واقفا لمسنى عند وقت تقدمة المساء وفهمنى وتكلم معى وقال يا دانيال انى خرجت الآن لأعلمك الفهم — دانيال ٩ : ٢٠ — ٢٢ » .

❋

ويستطيع الصالحون من البشر ان يروا الملائكة فى طبيعتها النورانية رؤية تحسها اعينهم تماما كما تحس رؤية الأشياء المادية ، وكما تحس غير الماديات مثل ضوء الشمس ونور القمر وألوان طيف الضوء الأبيض .
ولقد كان هذا هو الحال مع موسى فى بدء تلقى الوحى :

« واما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان . فساق الغنم الى وراء البرية وجاء الى جبل الله حوريب » .

وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة ، فنظر واذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق . فقال موسى أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم — خروج ٣ : ١ — ٣ » .

وكذلك رأى اشعياء الملائكة فى طبيعتها وهى ذات أجنحة :

« لكل واحد ستة أجنحة ، باثنين يغطى وجهه ، وباثنين يغطى رجليه ، وباثنين يطير . وهذا نادى ذاك وقال : قدوس قدوس ، رب الجنود مجده ملء الأرض . فاهتزت أساسات العتب من صوت الصارخ وامتلأ البيت دخانا — أشعياء ٦ : ٢ — ٤ » .

❋

هذا — وبعد ان نصرف النظر تماما عما قيل عن اطعام الملائكة ، وتزاوجهم مع البشر ، واعتبارهم ابناء الله والخلط بينهم وبينه — سبحانه — نجد أن الملائكة فى أسفار العهد القديم تعتبر مخلوقات علوية ، تتعامل مع عبيد الله المختارين — مثل الأنبياء والصالحين — بالتعليم والهداية والرعاية . ويستطيع الأنبياء مشاهدتها فى طبيعتها النورانية كما انها غالبا ما تشاهد متمثلة اشباها من الرجال .

❋ ❋ ❋

الملائكة فى العهـد الجـديد

جاء الملاك جبريل على هيئة رجل من البشر رسولا من الله الى مريم يبشرها بمولد المسيح :

« ارسل جبرائيل الملاك من الله الى مدينة من الجليل اسمها ناصرة. الى عذراء مخطوبة لرجـل من بيت داود اسمه يوسف . واسـم العذراء مريم .

فدخل اليها المـلاك وقال سـلام لك أيتها المنعم عليها . الرب معك مباركة انت فى النساء . فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية . فقال لهـا المـلاك لا تخافى يا مريم لأنك قد وجـدت نعمـة عند الله .

وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع ــ لوقا ١:٢٦ــ٣١».

❋

والملائكة واجبات واعمال مثل رعاية الأنبياء والمرسلين وخدمتهم ، كما كان الأمر مع المسيح ، بعـد أن اعتمـد من يوحنا ، ونجح فى اجتياز الفتنة التى جربه بها الشيطان :

« وكان هنـاك فى البرية اربعين يوما يجرب من الشيطان . وكان مع الوحوش وصارت الملائكة تخدمه ــ مرقس ١ : ٣١ » .

« وقال المسيح الحق الحق أقول لكم من الآن ترون السماء مفتوحة وملائـكة الله يصـعدون وينزلون على ابن الانسـان (المسـيح) ــ يوحنا ١ : ٥١ » .

❋

وحين تظهر الملائكة للبشر فى طبيعتها النورانية ، فانها تكون فى هيئة وضاءة مشرقة :

« ملاك الرب نزل من السماء .. وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج ــ متى ٢٨ : ٢ ــ ٣ » .

❋

وللملائكة علم لكنه محـدود بالقـدر الذى حددته مشيئة الله . فهنـاك من الأمور ما عميت انبـاؤه على كل المخلوقات ومنهم الملائكة والمسيح ، ومن هذه الأمور موعد يوم القيامة :

« اما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحـد ولا الملائكة الذين فى السماء الا (الله) وحده — مرقس ١٣ : ٣٢ » .

وفى محاورة بين المسيح والصدوقيين ، وهم طائفة من اليهود الذين لا يؤمنون بالقيامة ، ذكر أن المؤمنين الصالحين سـوف يحيون هنـاك مخلدين كالملائكة لا يذقون الموت لأنهم أبناء الله كما يزعم كتبة الأسفار :

« لا يستطيعون أن يموتوا أيضا لأنهم مثل الملائكة وهم أبنـاء الله اذ هم أبنـاء القيامة — لوقا ٢٠ : ٣٦ » .

*

وللملائكة عمـل فى يوم القيـامة ، اذ يعهد اليهم بفرز الأبرار من الاشرار ، ثم طرح الآخرين فى نار جهنم . فلقد قال المسيح :

« يشبه ملكوت السماوات شبكة مطروحه فى البحر وجامعة من كل نوع فلما امتلأت أصـعدوها على الشاطىء وجلسوا وجمعـوا الجياد الى أوعية واما الأردياء فطرحوها خارجا . هكذا يكون فى انقضاء العالم يخرج الملائكة ويفرزون الأشرار من الأبرار . ويطرحونهم فى اتون النار . هنـاك يكون البكاء وصرير الأسنان — متى ١٣ : ٤٧ — ٥٠ » .

*

ويزعم كتبـة الأسفار أن من الملائكة من سار وراء رغباته وضـل ، ولم يجنب نفسه هوان المعصية فاستحق بذلك العذاب المهين وقد جاء فى ذلك قولهم :

« الله لم يشفق على ملائكة قد أخطأوا بل فى سلاسـل الظلام طرحهم فى جهنم وسلمهم محروسين للقضاء — (٢) رسالة بطرس ٢ : ٤ » .

« الملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم حفظهم الى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام — رسالة يهوذا ١ : ٦ » .

ولبولس آراؤه فى الملائكة ، فهو يزعم انه سيحاكمها فى اليوم الموعد :

« الستم تعلمون أن القديسين سيدينون العالم .. الستم تعلمـون اننا سندين ملائكة ، فبالأولى أمور هذه الحياة — (١) كورنثوس ٦:٢—٣» .

ويضـع كاتب الرسالة الى العبرانيين الملائكة فى مرتبـة أعلى من المسيح :

« لكن الذى وضـــع قليــلا عن الملائكة يسوع نراه مكللا بالمجـــد والكرامة – عبرانيين ٢ : ٩ » .

*

فمما سبق تقــرر اسفار العهد الجديد ان الملائكة مخلوقات تستطيع الظهور فى هيئــة بشرية ، او فى صــورة نورانية ، والملائكة علم ، وعليهم تكاليف وواجبات ، ولهم ارادة حــرة .

* * *

الملائكة فى القــرآن الكريم

ينبئنا القرآن الكريم بالكثير فى موضـــوع الملائكة ، ويتحدث عن اعمالهم فى الكون ، وعلاقتهم بالانسان ، فى الدنيا والآخرة

فالملائكة هم رسل الله الى عباده المكرمين من بنى الانسان ، وحــين تاتيهم الملائكة فى طبيعتها المضيئة فانها تشاهد على شكل جسم من النور له اجنحة نورانية متعددة :

« الحمــد لله فاطــر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحـــة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشـــاء ان الله على كل شىء قدير .

ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعــده وهو العزيز الحكيم . (فاطر : ١ – ٢)

وحين تظهر الملائكة فى طبيعتها النورانية فانها تتراص فى صفوف منتظمة ، تسبح لله ، وتتـــلو آياته ، فتلهم الحق والخير ، وتزجر عن الكفر والشر :

« والصافات صـــفا . فالزاجرات زجرا . فالتاليات ذكرا . ان الهــكم لواحد . رب السماوات والأرض وما بينهما ورب المشارق » . (الصافات : ١ – ٥)

*

وقد تظهر الملائكة فى صورة رجال من البشر ، ولكن هذا لا يعنى انها تمارس ما يمارسه البشر من طبائع وغرائز ، مثل الأكل والشرب وغيره .

ولقد جاء جبريل الروح الأمين الى مريم لينفذ مشيئة الله بمولد المسيح منها بنفخة قدسية ، وكان متمثلا صورة رجل من البشر :

« واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا . فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا »
(مريم : ١٦ — ١٧)

ولما جاءت الملائكة ابراهيم تبشره بمولد ابنه اسحق كانت على هيئة رجال من البشر . ولما لم يكن ابراهيم قد عرفهم بعد ، فانه سارع باعداد وليمة لاطعامهم ، لكن الملائكة أحجمت عن الطعام ولم تمد أيديها له ، فشعر ابراهيم لذلك بالخوف والريبة :

« ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ . فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط . وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب . قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا ان هذا الشيء عجيب . قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد » . (هود:٦٩—٧٣)

*

وللملائكة علم وفكر ، ولهم منطق وفهم يناقش الأمور ويتدبر الحوادث ويعرضها للمنطق والاستنباط .

فحين اقتضت الحكمة الالهية خلق آدم واستخلافه فى الأرض ، بدا شيء ما فى تفكير الملائكة ، إذ اعتقدوا أن خلافة الله فى الأرض أولى بها العابدون المطهرون من الخطايا عن أن تكون لمخلوقات لها القدرة على سفك الدم والافساد فى الأرض . لكن الملائكة لما علموا بعد ذلك أن الفهم والعلم الذى تميز به آدم علاوة على اقباله على العبادة والتسبيح بحمد الله — كل ذلك يؤهله وذريته للخلافة — فعندئذ أدركت الملائكة قبسا من الحكمة الالهية :

« واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال انى أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين . قالوا سبحانك

لا علم لنـــا الا ما علمتنـــا انك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم انبئهم بأسمائهم ، فلما انبـــأهم بأسمائهم ، قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب الســـماوات والأرض وأعلم ما تبـــدون وما كنتم تكتمـــون » .
(البقرة : ٣٠ — ٣٣)

ان هذا يبين لنا أهمية العلم فى حياة الانسان ، فكما كان العـلم هو أصل الفضل والتكريم لآدم فى المـاضى ، فلا شك أن مصير البشرية وما ينتظرها فى حاضرها ومستقبلها ، مرتبط تمـاما بالتقدم العـلمى وامكانية اتخاذه طريقا الى الخير يقرب الى الله ، أو استخدامه فى الشر طريقا مدمرا خطه الشيطان .

*

وللملائكة احاسيس ، فهم يخشون الله ، وينفعلون فزعا من رهبـة المواقف والتجليات الالهية :

« ولله يسجد ما فى السماوات وما فى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون . يخـافون ربهم من فوقهم ويفعـلون ما يؤمرون » .
(النحل : ٤٩ — ٥٠)

حتى اذا فزع عن قلوبهم ، قالوا ماذا قال ربكم ، قالوا الحـق وهو العلى الكبير » . (سبأ : ٢٣)

*

والملائكة درجات عند الله ، ولكل منهم مقام لا يتعداه :

« وما منا الا له مقام معـلوم . وانا لنحن الصـــافون . وانا لنحن المسبحون » . (الصافات : ١٦٤ — ١٦٦)

« الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ، ان الله سميع بصير » .
(الحج : ٧٥)

والروح طبقة عليا من طبقات الملائكة — وهو من الطبقات المتميزة التى يعهد اليها بالأعمال المتميزة ، مثل السفارة بين الله والمكرمين من رسله ، الذين تنزل اليهم كتب الله ، آيات تتلى على مسامع البشرية . ولقـد كان جبريل هو الروح القدس الذى نزل بالقرآن على محمد خاتم النبيين :

« وانه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين » . (الشعراء : ١٩٢ — ١٩٥)

« قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهـدى وبشرى للمسلمين » . (النحل : ١٠٢)

*

والمؤمنون الصالحون درجات يتقدمهم طبقـة ممتازة هم المقـربون الى الله ـ سبحانه ـ من اجـل ذلك يمنحهم الله عطاءا خاصا من عنـده ، اذ يؤيدهم بروح من الملائكة يرعاهم ، ويعلمهم ، ويبشرهم بالخيرات :

« أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه » . (المجادلة:٢٢)

ولمـا كان المسيح من انبياء الله المقربين ، فقد أيده الله بالروح القدس، ارقى الأرواح ، وهو جبريل الأمين :

« اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منـه ، اسمه المسيح عيسى بن مـــريم ، وجيها فى الدنيــا والآخـــرة ومن المقـــربين » . (آل عمران : ٤٥)

« تلك الرســل فضلنا بعضـــهم على بعض ، منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ، وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس » . (البقرة : ٥٣)

*

ولقد جعلت الملائكة رحمـة للانسان . تحفظه من الأذى ، وتحميه من فعـل الأرواح الشريرة ، وتحفظ عليه حيـاته الى ان يقضى الله امرا كان مفعولا :

« وهو القاهر فوق عباده ، ويرسل عليكم حفظة ، حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون » . (الأنعام : ٦١)

وقد يعهـد الى بعض الملائكة بمهام خاصـة مثل رعاية بعض خلق الله المكرمين وحفظهم من شرور وعذاب منتظر .

وتتعاقب الملائكة على رعاية ذلك العبد الصالح وحفظه ما بقى سائرا فى الطـريق الى الله ، وممسكا زمام نفسه عن التردى فى هاوية الخطـايا والشهوات :

« له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ، ان الله لا يغـير ما بقوم حتى يغـيروا ما بانفسهم ، واذا أراد الله بقوم سـوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال » . (الرعد : ١١)

*

وللملائكة واجبات واعمال تقوم بها فى الكون الواسع ، وتتدخل احيانا فيما يبدو للانسان كانه ظواهر طبيعية ، سواء فى العالم الخارجى المحيط به أو فى عالم نفسه وما يعتريها من أفكار والهام وخطرات نفس ولهذا اقسم الله بها فى مواضع كثيرة من القرآن :

« والمرسلات عرفا . فالعاصفات عصفا . والناشرات نشرا . فالفارقات فرقا . فالملقيات ذكرا . عذرا أو نذرا » . (المرسلات:١–٦)

*

ولقد كانت الملائكة مع رسول الله فى هجرته من مكة الى المدينة ، وهم الذين تكفلوا باحباط كل مؤامرات المشركين لقتله والتخلص منه :

« الا تنصروه فقد نصره الله ، اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا ، فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » . (التوبة : ٤٠)

وتتدخل الملائكة فى الحرب لتحقق النصر ، كما حدث مع المسلمين فى غزوة بدر ، وفى غزوة الأحزاب ، ويكون تدخلهم غالبا بتثبيت المنتصرين وتوجيههم الى وسائل تحقيق النصر .

ففى غزوة بدر كان المسلمون قلة فى العدد والتسليح لا يتميزون الا بما اطمئنت به قلوبهم من عقيدة التوحيد الخالص ، والثقة فى نصر الله ، الذى سموا اليه بالعزم الصادق والتضرع الخالى من الغرور والكبرياء :

« اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين ، وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم ، وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم . اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام . اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا ، سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ، ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب » . (الأنفال : ٩ – ١٣)

وفى غزوة الأحزاب تدخلت الملائكة لصالح المسلمين — وكان ما فعلته **بالكافرين ، وما ألقته فى قلوبهم من الرعب كفيلا بردهم خائبين منهزمين :**

« يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ، اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا ..

ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما . من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا . ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما .

ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا » . (الأحزاب : ٩ ، ٢٢ — ٢٥)

❋

وتبشر الملائكة المؤمنين الصادقين فى هذه الحياة بما يطمئنهم على مستقبلهم فى الحياة الآخرة ، فتمنحهم بذلك طاقات هائلة من اليقين والثبات ، يستعينون بها على شهوات الحياة وآلامها :

« ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون . نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون . نزلا من غفور رحيم » . (فصلت : ٣٠ — ٣٢)

وحين يتعرض المؤمنون لغمرات الموت فان الملائكة تبشرهم بالخيرات، وتبعث فى نفوسهم الأمن والسكينة فلا يضطربون وهم ينتقلون من هذه الحياة الفانية الى أطوار تلك الحياة الباقية :

« الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » . (النحل : ٣٢)

واذا ما انقضت هذه الحياة ، وجاء يوم القيامة ، وهو يوم الفزع الأكبر لهول ما يصيب الكون من اضطراب ، فان الملائكة تستمر فى رعايتها للمؤمنين :

« لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون » . (الأنبياء : ١٠٣)

وفى الجنة ينعم المؤمنون بالملائكة رفقاء نعمة وسلاما :

« وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين . وقالوا الحمد الله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين . وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين » .
(الزمر : ٧٣ — ٧٥)

« جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » . (الرعد : ٢٣ — ٢٤)

❋

وعلى النقيض مما سبق يكون موقف الملائكة مع الكافرين والمنافقين المترددين . ذلك انه من بدء سكرات الموت فان الملائكة تتلقف اولئك الخاسرين بالتعنيف والإذى والحساب العسير على ما فرطوا فى جنب الله بعقائدهم الضالة الخبيثة ، ثم يعرضون عليهم مشاهد مما ينتظرهم من عذاب يوم القيامة .

فذلك هو الحال مع كل من ضيع حياته لهوا ولعبا ، وذلك هو الحال مع الذين استغلوا اسم الله لجلب منافع رخيصة لهم وافتروا على الله الكذب ، وزعموا انه قد أوحى اليهم وأنهم قد صاروا رسلا ، وفى الحقيقة لم يوح اليهم بشىء .

أولئك بحق أظلم الظالمين لأنهم ضلوا انفسهم وأضلوا الناس بغير علم .

« ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شىء ، ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله ، ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم ، اخرجوا انفسكم ، اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون . ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء ، لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون » . (الأنعام: ٩٣—٩٤)

« ولو ترى اذ يتوفى الذين كفــروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحــريق . ذلك بمــا قدمت أيديكم وأن الله ليس بظـــلام للعبيد » . (الأنفال : ٥٠ ـ ٥١)

« الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى انفسهم ، فألقوا السلم ما كنا نعمــل من سوء ، بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون . فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين » . (النحل : ٢٨ ـ ٢٩)

« ان الذين توفاهم الملائكة ظــالمى انفسهم ، قالوا فيم كنتم ، قالوا كنــا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واســـعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا . الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا » . (النساء : ٩٧ : ٩٩)

❋

وعلى الرغم مما رأينا من الصلة الوثيقة بين الملائكة والانسان ، وخاصة فى المراحل المختلفة لمــا بعد الموت ، فانها لا تملك من أمره شيئا ســواء فى الدنيا أو الآخرة . وكل ما يمكن قوله هو انهم جنود لله ، قد عهد اليهم بالتعامل مع الانسان حسب قواعد الهية عادلة ، وما على الجنود الا الطاعة والتنفيذ . وهذا الأمر هين على الملائكة الذين عرفوا مهمتهم جيــدا لأنهم احاطوا بأمر الانسان منذ نشأته حتى وفاته :

« وان عليكم لحافظــين . كراما كاتبــين . يعلمون ما تفعلون » . (الانفطار : ١٠ ـ ١٢)

والحق أن الأمر كله لله ، الذى تنزه عن أن يشاركه فيه أحد غيره ، ولو كان نبيا أو ملك :

« وكم من ملك فى السماوات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعــد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى » . (النجم : ٢٦)

« ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ، ولكن كونوا ربانيــــين بما كنتم تعلمــون الكتاب وبما كنتم تدرسون .

ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيــين اربابا ، أيأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون » . (آل عمران : ٧٩ ـ ٨٠)

« لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ، ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليـــه جميعا . فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ، وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعـذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليـا ولا نصيرا » . (النساء : ١٧٢ — ١٧٣)

وعلى كل حال فان الملائكة ترق لحال الانسان فى الدنيا ، وتخشى عليه نتيجة خطاياه ، وهى لذلك تدعو له بالتـوبة والمغفرة عسى الله أن يعفو عنـه :

« والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض ، ألا ان الله هو الغفور الرحيم » . (الشورى : ٥)

« الذين يحملون العرش ومن حوله ، يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ، ربنـا وسعت كل شىء رحمـة وعلمـا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم . ربنا وأدخلهم جنـات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، انك أنت العزيز الحكيم . وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمتـه وذلك هو الفوز العظيم » . (غافر : ٧ — ٩)

*

هـــذا — وبعد أن انتهت دراستنا لموضـــوع الملائكة فى القـرآن الكريم بهـذا الدعاء الملائكى الحنون — فان النصوص القرآنية الواردة فى أمر الملائكة تدعونا الى ضرورة الايمـان بهم ، وبعلاقتهم الوطيدة بالانسان فى شتى مراحل حياته .

وكيف لا وهم قرناء للانسان ، رقباء على أفعـــاله ، وهم الوسيلة والسفرة الذين انزلوا رسالة الله . ولقـد أوجب الله الايمان بهم واعتبر انكارهم كفرا وضلالا بعيدا ، وذلك فى قوله سبحانه :

« يا أيها الذين آمنـوا : آمنـوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضـل ضلالا بعيدا » . (النساء : ١٣٦)

* * *

الفصل الثاني

الوحي

وتقول دائرة المعارف البريطانية : « يستخدم لفظ الوحى فى اللاهوت ليدل على الحالة التى يكون فيها الانسان تحت التأثير الالهى المباشر .

ويعنى الوحى تجرد الانسان ليكون فى قبضة الاله ، بحيث يصير هذا الانسان هو الطـــريق او القنـــاة التى يسرى فيهـا وحى الله من كلام ومشـــيئة (١) .

ونجمل ما سبق فى موضوع الوحى فنجد اننا نستطيع القول بأن :

الوحى فى صــورته العـامة هو نوع خاص من تعليم الله لخلقــه . ويكون ذلك التعليم بوسائل مختلفة يتعرض لها من أوحى اليهم ، كما يكون نتـاج هـذا التعليم فى الغالب كتابات مقدسة .

والسوف نبحث فيما يلى حالات الوحى ووسائله .

**

الوحى فى العهد القــديم

كان اول الوحى الى البشر هو ما كان من كلام الله الى آدم وتعليمــه من الوصايا ما يميز به بين ما ينفعه وما يضره :

« وأخذ الرب الاله آدم ووضعه فى جنة عدن ليعملها ويحفظها . وأوصى الرب الاله آدم قائلا من جميع شجر الجنــة تأكل أكلا . وأما شجرة معرفة الخــير والشر فلا تأكل منها . لأنك يوم تأكل منها تمــوت ــ تكوين ٢ : ١٥ ــ ١٧ » .

ويدعى كتبة الاستفار أن كلام الله الى آدم وزوجه حواء كان ذا صوت محســوس تعيــه آذان البشر ، وهـــذا يخالف القــاعدة الأصولية التى ذكرناها سلفا :

« وسمعا صوت الرب الاله ماشيا فى الجنة عند هبوب ريح النهار . فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الاله فى وسط شجر الجنة .

فنادى الرب الاله آدم وقال له أين أنت ؟

---

(١) Encyclopaedia Britannica, 1960—

وتقول دائرة المعارف البريطانية : « يستخدم لفظ الوحى فى اللاهوت ليدل على الحالة التى يكون فيها الانسان تحت التأثير الالهى المباشر .

ويعنى الوحى تجرد الانسان ليكون فى قبضة الاله ، بحيث يصير هذا الانسان هو الطـريق او القنـاة التى يسرى فيهـا وحى الله من كلام ومشـيئة (١) .

ونجمل ما سبق فى موضوع الوحى فنجد اننا نستطيع القول بأن :

الوحى فى صـورته العـامة هو نوع خاص من تعليم الله لخلقـه . ويكون ذلك التعليم بوسائل مختلفة يتعرض لها من أوحى اليهم ، كما يكون نتـاج هـذا التعليم فى الغالب كتابات مقدسة .

والسوف نبحث فيما يلى حالات الوحى ووسائله .

* *

الوحى فى العهد القـديم

كان اول الوحى الى البشر هو ما كان من كلام الله الى آدم وتعليمـه من الوصايا ما يميز به بين ما ينفعه وما يضره :

« وأخذ الرب الاله آدم ووضعه فى جنة عدن ليعملها ويحفظها . وأوصى الرب الاله آدم قائلا من جميع شجر الجنـة تأكل أكلا . وأما شجرة معرفة الخـير والشر فلا تأكل منها . لأنك يوم تأكل منها تمـوت — تكوين ٢ : ١٥ — ١٧ » .

ويدعى كتبة الاستفار أن كلام الله الى آدم وزوجه حواء كان ذا صوت محسـوس تعيـه آذان البشر ، وهـذا يخالف القـاعدة الأصولية التى ذكرناها سلفا :

« وسمعا صوت الرب الاله ماشيا فى الجنة عند هبوب ريح النهار . فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الاله فى وسط شجر الجنة .

فنادى الرب الاله آدم وقال له أين أنت ؟

---

(١) Encyclopaedia Britannica, 1960—

فقال سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فاختبأت .

فقال من أعلمك أنك عريان . هــل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها .

فقال آدم المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت .

فقال الرب الاله للمرأة ما هذا الذى فعلت ؟

فقالت المرأة الحية غرتنى فأكلت ... — تكوين ٣ : ٨ — ١٣ » .

❋

وكان وحى الله الى خلقه عن طريق الرؤيا التى يراها النــــائم حتى اذا ما استيقظ من نومه شعر ان رؤياه قد ملكت عليه كل نفسه ، واطمان بها قلبه وعلم أن ذلك وحى من الله .

فلقد كان هذا هو الحال مع أبراهيم أبى الأنبياء خليل الرحمن :

« بعد هذه الأمور صار كلام الرب الى ابرام فى الرؤيا قائلا . لاتخف يا ابرام . أنا ترس لك أجرك كثيرا جــدا . فقال ابرام أيهــا السيد الرب ماذا تعطينى وأنا ماض عقيما .. — تكوين ١٥ : ١ — ٢ » .

وكانت الرؤيا هى سبيل الوحى لأغلب الأنبياء :

« فى تلك الليــــلة كان كلام الرب الى ناثان (النبى) قائلا . اذهب وقل لعبدى داود .. متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك أقيم بعدك نسلك الذى يخرج من احشائك وأثبت مملكته .. هو يبنى بيتا لاسمى ..

فحسب جميع هــذا الكلام وحسب كل هــذه الرؤيا كذلك كلم ناثان داود — صموئيل الثانى ٧ : ٤ — ١٧ » .

« فى تلك الليلة تراءى الله لسليمان وقال له اسأل ماذا أعطيك . فقال سليمان لله انك قد فعلت مع داود أبى رحمــــة عظيمة وملكتنى مكانه .. فأعطنى الآن حكمــة ومعرفة .. فقال الله لسليمان من أجل أن هــــذا كان فى قلبك .. قد أعطيتك حكمــة ومعرفة وأعطيك غنى وأموالا .. — أخبار الأيام الثانى ١ : ٧ — ١٢ » .

❋

لكن اكثر وسائل الوحي شيوعا هو ما كان من ظهور الملائكة فى صور بشرية ، تخاطب البشر بلغاتهم ، وتبلغهم وحى الله . فذلك كان الحال مع ابراهيم ولوط ويعقوب ودانيال الذى تكفل بتعليمه جبريل ، وذلك كان الحال مع غيرهم من الأنبياء .

وقد يسمع العبد الصالح أصواتا تناديه فلا يعبها اول الامر ، حتى اذا ما عرفه بخبرها احد ممن يقرءون الكتاب من قبله ويعرفون طرق الوحى المختلفة لتعليم البشر ، فعندئذ تطمئن نفس ذلك العبد الصالح لهذا الذى يأتيه ويعلم أنه قد صار نبيا يوحى اليه .

لقد كان هذا هو الحال مع صموئيل الذى كان صبيا يخدم فى بيت الرب مع الكاهن عالى . فقد حدث بالليل « اذ كان عالى مضطجعا . وعيناه ابتدأتا تضعفان لم يقدر أن يبصر . وقبل أن ينطفىء سراج الله وصموئيل مضطجع فى هيكل الرب الذى فيه تابوت الله » أن سمع صموئيل صوتا يناديه باسمه فظنه الكاهن عالى ولذا ذهب اليه . فقال عالى « لم أدع . ارجع اضطجع . فذهب واضطجع » .

وتكرر ذلك مرتين أخريين وآنذاك فهم عالى أنه صوت الوحى ينادى صموئيل فأمره أن يقول حين يسمع النداء « تكلم لأن عبدك سامع » وعندئذ تلقى صموئيل وحيا يقول : « هوذا أنا فاعل أمرا فى اسرائيل كل من سمع به تطن أذناه . فى ذلك اليوم أقيم على عالى كل ما تكلمت به على بيته .. من أجل الشر الذى يعلم أن بنيه قد أوجبوا به اللعنة على أنفسهم ولم يردعهم .

وكبر صموئيل وكان الرب معه .. وعرف جميع اسرائيل من دان الى بئر سبع أنه قد أؤتمن صموئيل نبيا للرب — صموئيل الأول ٣ : ١ — ٢٠ » .

وجدير بالذكر أن اللعنة التى حلت بالكاهن عالى وبيته ، كانت بسبب فساد بنيه الذين اغتصبوا أموال بيت الرب ، وزادوا على ذلك أن اغتصبوا نساء اسرائيل وزنوا بهن فى بيت العبادة :

« وشاخ عالى جدا وسمع بكل ما عمله بنوه بجميع اسرائيل وبأنهم كانوا يضاجعون النساء المجتمعات فى باب خيمة الاجتماع . فقال لهم لماذا تعملون مثل هذه الأمور لأنى أسمع بأموركم الخبيثة من جميع هذا الشعب — صموئيل الأول ٢ : ٢٢ — ٢٣ » .

*

وقد ينظر العبد الصالح الى السماء فيرى ظللا من النور او النار ، تشد نفسه اليها ، وتستولى على مشاعرها ، وعندئذ يسمع وحى الله ، فذلك كان أول الوحى الى موسى :

« وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان . فساق الغنم الى وراء البرية وجاء الى جبل الله حوريب .

وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة . فنظر واذا العليقة تتوقد بالنـار والعليقة لم تكن تحترق . فقـال موسى أميل الآن لأنظـر هذا المنظر العظيم لمـاذا لم تحترق العليقة .

فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقـة وقال : موسى موسى .

فقال هانذا . فقال لا تقترب الى ها هنـا ..

ثم قال : انا اله أبيك ابراهيم واله اسحق واله يعقوب فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر ـ خروج ٣ : ١ ـ ٦ » .

ولمـا كان الانسان بتركيبـه البشرى وما قام فيـه من ماديات ، لا يستطيع رؤية الله فى هـذه الحيـاة الدنيا ، فانا نستطيع القول بأن ما رآه موسى كان شيئا من مجد الله .

اذ بعـد أن تمـرس موسى على وحى الله ورأى من الآيات ما رأى ، اشتاقت نفسه أن ينظر الى الله ، فجاءه القول الحق :

« لا تقـدر أن ترى وجهى . لأن الانسـان لا يرانى ويعيش ـ خروج ٣٣ : ٢٠ » .

كذلك قد يسمع وحى الله آتيـا من خلال السحاب وفى ظلل من الغمـام :

« قال موسى لهـارون قل لكل جماعة بنى اسرائيل اقتربوا الى أمام الرب لأنه قد سمع تذمركم . فحدث اذ كان هارون يكلم كل جمـاعة بنى اسرائيـل أنهم التفتـوا نحو البرية . واذا مجـد الرب قد ظهـر فى السحاب .

فكلم الرب موسى قائلا : سـمعت تذمر بنى اسرائيـل ـ خـروج ١٦ : ٩ ـ ١٢ » .

❋

وقد يرى العبد الصـالح مناظر عجيبة فى السماء تصاحبها عواصف وزوابع ، ثم يجيئه صوت الوحى يعلمه ، كما كان الأمر مع ايليا وحزقيال :

« كان كلام الرب اليه يقول مالك ها هنـا يا ايليـا . فقال قد غرت غيرة للرب .. فقال أخـرج وقف على الجبـل .. واذا .. ريح عظيمـة وشديدة قد شقت الجبال وكسرت الصخور .. وبعد الريح زلزلة .. وبعد الزلزلة نار ...

وبعد النار صوت منخفض خفيف . فلمـا سـمع ايليـا لف وجهه بردائه وخرج ووقف فى باب المغـارة واذا بصوت اليه يقول مالك ها هنـا يا ايليـا . فقال غرت غيرة للرب اله الجنود لأن بنى اسرائيـل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بحد السيف فبقيت أنا وحـدى وهم يطلبون نفسى ليأخذوها . فقال له الرب اذهب راجعا فى طريقك الى دمشق وادخـل وامسح حزائيـل ملكا على آرام . وامسح ياهو بن نمشى ملكا على اسرائيل وامسح اليشع بن شافاط من آبل محـولة نبيا عوضا عنك ــ الملوك الأول ١٩ : ٩ ــ ١٦ » .

« كان فى سنة الثلاثين .. وأنا بين المسبيين عند نهـر خابور أن السماوات انفتحت فرأيت رؤى الله .. صار كلام الرب الى حزقيال .. فى أرض الكلدانيين عند نهر خابور . وكانت عليه هناك يد الرب .

فنظر واذا بريح عاصفة جاءت من الشمال . سحابة عظيمـة ونار متواصلة وحولها لمعـان ومن وسـطها كمنظر النحاس اللامع من وسط النـار . ومن وسطها شبه أربعـة حيوانات وهـذا منظرها لها شـبه انسـان . ولكل واحد أربعـة أوجه ولكل واحد أربعة أجنحة . وأرجلهـا أرجل قائمـة وأقدام أرجلها كقدم رجل العجل وبارقة كمنظر النحـاس المصقول . وأيدى انسان تحت أجنحتها على جوانبها الأربعة . ورأيت مثل منظر النحاس اللامع كمنظر نار داخلة من حوله . مثل منظر نار ولهـا لمعـان من حولها . كمنظر القـوس التى فى السحاب يوم مطر هكذا منظر اللمعـان من حوله . هـذا منظر شبه مجد الرب . ولمـا رأيته خررت على وجهى . وسمعت صـوت متكلم ..

فقال الى يا ابن آدم قم على قدميك فأتكلم معك . فدخل فى روح لمـا تكلم معى وأقامنى على قدمى فسمعت المتكلم معى .

وقال لى يا ابن آدم أنا مرسـلك الى بنى اسرائيل الى أمة متمردة قد تمـردت على هم وآباؤهم عصوا على الى ذات هـذا اليوم . والبنون

القساة الوجوه والصلاب القلوب أنا مرسلك اليهم .. واما أنت يا ابن آدم فلا تخف منهم .. أنت ساكن بين العقـــارب .. من كلامهم لا تخف ومن وجوههم لا ترتعب لأنهم بيت متمرد ..

وأنت يا ابن آدم فاســـمع ما أنا مكلمك به لا تكن متمـردا كالبيت المتمرد .. — حزقيال ١ — ٢ : ١ — ٨ » .

❋

ونجـد الكثير من اســفار العهـد القـديم قد كتب على اساس انه كان وحيـا نطـق به عبد صـالح جاءته كلمـة الله بطـريقة ما .
فذلك ما نجده فى أسفار الأنبياء الكبار مثل أشعياء وارميا :

« رؤيا أشعياء بن آموص التى رآها على يهوذا وأورشليم ..
اســمعى أيتها السماوات واصغى أيتها الأرض لأن الرب يتكلم .

ربيت بنين ونشأتهم . أما هم فعصـوا على . الثـور يعرف قانيـه والحمار معلف صاحبه أما اسرائيل فلا يعرف . شعبى لا يفهم .

ويل للأمة الخاطئـة الشعب الثقيـل الاثم نسـل فاعلى الشر أولاد مفســدين . تركوا الرب استهانوا بقدوس اسرائيـل ارتدوا الى وراء . علام تضربون بعد . تزدادون زيغانا كل الرأس مريض وكل القلب سقيم .. أشعياء ١ : ١ — ٥ » .

« كلام ارميا بن حلقيا من الكهنة الذين فى عناثوث فى أرض بنيامين ، الذين كانت كلمـة الرب اليـه ..

كانت كلمة الرب الى قائلا . مثلما صورتك فى البطن عرفتك وقبلمـا خرجت من الرحم قدستك جعلتك نبيا للشعوب . فقلت آه يا سيد الرب انى لا أعرف أن أتكلم لأنى ولد . فقال الرب لى لا تقـل انى ولد لأنك الى كل من أرسلك اليه تذهب وتتكلم بكل ما آمرك به . لا تخف من وجوههم لأنى أنا معك لأنقذك يقول الرب .

وقال الرب لى ها قد جعلت كلامى فى فمك . انظر قد وكلتك هـذا اليوم على الشعب والممالك لتقطع وتهدم وتهلك وتنقض وتبنى وتغرس — ارميا ١ : ١ — ١٠ » .

كذلك كان الحال مع الأنبياء الاثنى عشر الأصاغر وهم : هوشـع ، ويوئيـل ، وعاموس ، وعوبديا ، ويونان ، وميخا ، وناحوم ، وحبقوق ،

وصفينا ، وحجى ، وزكريا ، وملاخى ، اذ أن الأسفار التى تحمل أسماءهم قد جمعت باعتبارها وحى الله اليهم ، انفعلت به نفوســهم حتى فاضت به السنتهم :

« قول الرب الذى صار الى يوئيــل بن فثوئيل .

اسمعوا هــذا أيها الشيوخ واصغوا يا جميع سكان الأرض ..

اصحوا أيها السكارى وابكوا وولولوا يا جميع شاربى الخمر .. — يوئيل ١ : ١ — ٥ » .

« أقوال عاموس الذى كان بين الرعاة من تقـــوع التى رآها عن اسرائيــل .

فقال ان الرب يزمجر من صهيون ويعطى صوته من اورشليم فتنوح مراعى الرعاة وييبس رأس الكرمل .. — عاموس ١ : ١ — ٢ » .

« رؤيا عوبديا .

هكذا قال السيد الرب عن أدوم . سمعنا خبرا من قبل الرب وأرسل رسول بين الأمم . قوموا ولنقم عليها للحرب .. — عوبديا ١ : ١ » .

« صار قول الرب الى يونان بن امتاى قائلا . قم اذهب الى نينوى المدينة العظيمة وناد عليها لأنه قد صعد شرهم أمامى .. — يونان١ :١—٢ » .

« قول الرب الذى صار الى ميخا المورشتى ..

اسمعوا أيتها الشعوب . جميعكم ، اصغى أيتها الأرض وملؤها وليكن السيد الرب شاهدا عليكم من هيكل قدسه .. — ميخا ١ : ١ — ٢ » .

« وحى على نينوى . سفر رؤيا ناحوم الألقوشى .

الرب اله غيور ومنتقم . الرب منتقم وذو سخط . الرب منتقم من مبغضيه وحافظ غضبه على أعدائه .. — ناحوم ١ : ١ — ٢ » .

« كلمة الرب التى صارت الى صفنيا بن كوشى ..

نزعا أنزع الكل عن وجه الأرض يقول الرب . أنزع الانسان والحيوان . أنزع طيور السماء وسمك البحر والمعاثر مع الأشرار واقطع الانسان عن وجه الأرض يقول الرب — صفنيا ١ : ١ — ٣ » .

« فى السنة الثانية لداريوس الملك .. كانت كلمة الرب عن يد حجى النبى الى زربابل هكذا قال رب الجنود قائلا . هذا الشعب قال ان الوقت لم يبلغ وقت بناء بيت الرب — حجى ١ : ١ — ٢ » .

« فى الشهر الثامن فى السنة الثانية لداريوس كانت كلمة الرب الى زكريا بن برخيا بن عدو النبى قائلا . قد غضب الرب غضبا على آبائكم .. — ١ : ١ — ٢ » (*)

« وحى كلمة الرب لاسرائيل عن يد ملاخى ..

أحببتكم قال الرب . وقلتم بم أحببتنا ..

الابن يكرم أباه والعبد يكرم سيده . فان كنت أنا أبا فأين كرامتى وان كنت سيدا فأين هيبتى قال لكم رب الجنود أيها الكهنة المحتقرون اسمى وتقولون بم احتقرنا اسمك .. — ملاخى ١ : ١ — ٦ » .

❋

ولقد عرفنا أن من الملائكة أرواحا متميزة اذا ما حلت بالعبد الصالح انطقته بوحى الله ، وصار هو لسانها المتكلم بصوت تسمعه الآذان البشرية وتعى ما يقول .

ولذلك قال موسى : « يا ليت كل شعب الرب كانوا أنبياء اذ جعل الرب روحه عليهم .. — عدد ١١ : ٢٩ » .

وكان كلام صموئيل النبى الى شاول وهو يعلمه احدى طرق الوحى :

« عند مجيئك الى هناك الى المدينة أنك تصادف زمرة من الأنبياء نازلين من المرتفعة .. وهم يتنبأون . فيحل عليك روح الرب فتتنبأ معهم وتتحول الى رجل آخر ..

وكان عندما أدار كتفه لكى يذهب من عند صموئيل أن الله أعطاه قلبا آخر ..

ولما جاءوا الى هناك الى جبعة اذا بزمرة من الأنبياء لقيته فحل عليه روح الله فتنبأ فى وسطهم — صموئيل الأول ١٠ : ٥ — ١٠ » .

« وهذه هى كلمات داود الأخيرة : وحى داود بن يسى ووحى الرجل القائم فى العلا مسيح اله يعقوب ومرنم اسرائيل الحلو . روح

الرب تكلم بى وكلمته على لسانى قال اله اسرائيل الى .. اذا اتسلط على الناس بار يتسلط بخوف الله وكنور الصباح اذا أشرقت الشمس ــ صموئيل الثانى ٢٣ : ١ ــ ٤ » .

ويحكى حزقيال بدء الوحى اليه فيقول « سمعت المتكلم معى . وقال لى يا ابن آدم أنا مرسلك الى بنى اسرائيل الى أمة متمردة ــ حزقيال ٢ : ٢ ــ ٣ .

* *

وبعد ــ ان خلاصة القول فى موضوع الوحى كما تبينه دراسة أسفار العهد القديم تعلمنا أن « رجال الله » الذين عاشوا على الأرض قبل أن يوجد اسرائيل وذريته ، وكذلك الذين ظهروا فى الشعب الاسرائيلى من انبياء ومرسلين ، قد تلقوا وحى الله بطرق مختلفة ، يمكن اعتبارها مرجعا مقارنا لدراسة حالات الوحى ، كما يمكن تلخيصها فيما يلى :

١ ــ الوحى بالكلام شبه المباشر بين الله والانسان ، أو بتعبير أدق بانه كلام « من وراء حجاب » وقد تعرض لذلك آدم وموسى .

٢ ــ الوحى بالرؤيا المنامية كما حدث لابراهيم ويعقوب وسليمان وغيرهم .

٣ ــ ظهور الملائكة فى صور بشرية تعلم الناس بلغاتهم وحى الله ، وتلك احدى الطرق الشائعة التى تعلم بها ابراهيم ولوط ويعقوب وايليا ودانيال الذى علمه جبريل .

٤ ــ ظهور الملائكة فى طبيعتها النورانية تصاحبها هالات من النور أو النار وظلل من الغمام ، ومن وراء ذلك يأتى صوت الوحى كما حدث لموسى وايليا وحزقيال .

٥ ــ وقد تسمع اصوات الملائكة من بعد وفى خفاء وهى تلقى بالوحى الى العبد الصالح ، كما كان الحال مع صموئيل وغيره .

٦ ــ وقد يحل روح من الله على العبد الصالح وعندئذ قد تتغير حالته الطبيعية ويلقى اليه بالوحى فيعيه ويتكلم به ، كما حدث لشاول وداود وايليا وحزقيال .

٧ — كذلك قد تنفعل نفس العبد الصالح بما يفيض على لسانه كلاما يشتهر بين النـاس بانه وحى الله . ونجـد ذلك ما كان من امر الأنبياء :
اشعياء ، وارميا ، ويوئيل ، وعاموس ، وبقية الأنبياء الاثنى عشر .

ومن الواضح أن العبد الصالح يمكن ان ياتيه الوحى بطـرق مختلفة .

هـذا — ومن البديهيات المسلم بها هو أن الوحى أولا واخيرا يرتبط بمن اوحى اليه ، لذلك كان ايمـان الناس بصدق الوحى يجب أن يسبقه ايمانهم بصدق من أوحى اليه ، وثقتهم فى امانته ، وما اشتهر به من طهر وفضل . واذا كان ذلك الذى أوحى اليه قد تعفف عن الكذب على الناس ، فمن باب أولى انه لابد وأن يتحـرز من الكذب على الله . ان هـذا أمر لا يقبـل الجـدل .

ومن رحمـة الله بخلقه ان اصطفى من النـاس انبياءه ورسله ، ممن عطرت سيرتهم ، وطابت ذكراهم ، وكانوا فوق مستوى الشبهات .

* * *

الوحى فى العهد الجديد

تقرر اسفار العهد الجديد ان طرق الوحى الى انبياء الله كثيرة ومتنوعة ، وانها جميعا تهدف الى تعليم الناس دين الله عن طريق رسله الذين جعلوا ائمة للبشر :

« الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديما بأنواع وطرق كثيرة . كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى (المسيح) — عبرانيين ١ : ١ — ٢ » .

وبذلك تعترف المسيحية بجميع طرق الوحى التى اشرنا اليها فى الفصل السابق . وبجانب ذلك فانا نجد فى اسفار العهد الجديد تفصيلا لحالات الوحى ووسائله ، ومنها :

ظهور الملائكة للبشر فى صورة جسمية ، تخاطبهم بلغاتهم ، وتبلغهم وحى الله كما فعل جبريل مع زكريا حين بشره بابنه يحيى :

« بينما هو يكهن فى نوبة فرقته أمام الله .. ظهر له ملاك الرب واقفا عن يمين مذبح البخور . فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف . فقال له الملاك لا تخف يا زكريا لأن طلبتك قد سمعت وامرأتك اليصابات ستلد لك ابنا وتسميه يوحنا ..

فقال زكريا للملاك كيف أعلم هذا لأنى شيخ وامرأتى متقدمة فى أيامها. فأجاب الملاك وقال له أنا جبرائيل الواقف قدام الله وأرسلت لأكلمك وابشرك بهذا — لوقا ١ : ٨ — ١٩ » .

ويكون الوحى برؤيا يراها العبد الصالح فى نومه ويوقن انها تعليم من السماء فيتصرف على هذا الأساس . وقد حدث ذلك ليوسف النجار خطيب مريم ، الذى لما عرف سر حملها لم يستجب لوساوسه فى أمرها ، ثم امتنع عن معاشرتها حتى ولدت المسيح ابنها البكر :

« أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا . لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس . فيوسف رجلها اذ كان بارا ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سرا .

ولكن فيما هو متفكر فى هذه الأمور اذا ملاك الرب قد ظهر له فى حلم قائلا يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس .

فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع .. لأنه يخلص شعبه من خطاياهم .. فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر . ودعا اسمه يسوع — متى ١:١٨—٢٥ » .

ولقد تعرض المجوس الذين زاروا مريم وابنها ، الى وحى فى الرؤيا المنامية أبعدهم عن طريق هيرودس الملك الذى كان يطلب قتل الصبى المبارك :

« أتوا الى البيت ورأوا الصبى مع أمه مريم . فخروا وسجدوا له .. ثم اذ أوحى اليهم فى حلم أن لا يرجعوا الى هيرودس انصرفوا فى طريق أخرى الى كورتهم — متى ٢ : ١١ — ١٢ » .

وتكرر الوحى بالرؤيا المنامية الى يوسف النجار :

« وبعد ما انصرفوا اذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف فى حلم قائلا قم وخذ الصبى وأمه واهرب الى مصر وكن هناك حتى أقول لك لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبى ليهلكه . فقام وأخذ الصبى وأمه ليلا وانصرف الى مصر .

فلما مات هيرودس اذا ملاك الرب قد ظهر فى حلم ليوسف فى مصر قائلا قم وخذ الصبى وأمه واذهب الى أرض اسرائيل .. ولما سمع أن ارخيلاوس يملك على اليهودية عوضا عن هيرودس أبيه خاف أن يذهب الى هناك .

واذ أوحى اليه فى حلم انصرف الى نواحى الجليل . وأتى وسكن فى مدينة يقال لها ناصرة — متى ٢ : ١٣ — ٢٣ » .

*

ويكون الوحى بحلول الروح على العبد الصالح ، فينطق بالحق ويقول الصدق . ولقد أعلن المسيح أن نبوءته قد تحققت بروح الله الذى حل عليه ، والذى أيده الله به :

« ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ ..

فدفع اليه سفر اشعياء النبى . ولما فتح السفر وجد الموضع الذى كان مكتوبا فيه .. **روح الرب على** لأنه مسحنى لأبشر المساكين أرسلنى لأشفى المنكسرى القلوب .. ثم طوى السفر وسلمه للخادم ..

وحل الروح على تلاميـذ المسيح ومن معهم فأصابتهم حالة الوحى ، وعندئذ سخر اليهود منهم وظنوهم سكارى ومخبولين — فقام بطرس يوضح الموقف ويقـرران حلول روح الله على الجمـوع من الناس انما كان تحقيقا لنبوءة وردت فى أسفار العهـد القديم عما سيكون فى آخر الزمان — وهو الزمان الذى عاش فيه بطرس ومن معه منذ نحو عشرين قرنا مضت حتى الآن ويقـول :

« امتلأ الجميع من الروح القـدس وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا .. فبهت الجميع وتعجبوا .. وكان آخرون يستهزءون .. فوقف بطرس مع الأحـد عشر ورفع صوته وقال لهم أيهـا الرجال اليهود .. ليكن هـذا معلوما عندكم واصغوا الى كلامى . لأن هؤلاء ليسوا سكارى كما أنتم تظنون . لأن الساعة الثالثة من النهار . بل هـذا ما قيـل بيوئيل النبى . يقول الله ويكون فى الأيام الأخيرة انى أسكب من روحي على كل بشر فيتنبأ بنـوكم ويرى شبابكم رؤى ويحلم شـيوخكم أحلاما . وعلى عبيدى أيضا وامائى أسكب من روحى فى تلك الأيام فيتنبأون — أعمال الرسل ٢ : ٤ — ١٨ » .

*

والخـلاصة ان حالات الوحي ووسائله فى المسيحية لا تخـرج عما رأيناه فى اليهودية .

* *

هذا — واذا كانت أغلب أسفار العهد القـديم قد قرر كاتبوها انهـا وحى سماوى نطقت به السنة الأنبياء — وقد رأينا ذلك سلفا — فان الأمر يختلف تمـاما بالنسبة لأسفار العهد الجـديد . ذلك ان الأغلبية العظمى من هـذه الأسفار تقـرر صراحة او ضـمنا ، انها مجهودات خاصة ، وكتابات شخصية ، انشاها كاتبـوها لبيـان قصـة المسيح ، ورسالته ونشاط تلاميذه — كما عرفها اولئك الكتاب .

ويتبين ذلك من دراسة هذه الأسفار على النحو التالى :

(أ) الاناجيـل :

١ — انجيـل لوقا :

يبدأ لوقا انجيله ببيان ما دفعه الى تأليفه فيقول :

« اذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عنـدنا كما سلمها الينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة . رأيت انا

أيضا اذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالى اليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذى علمت به ـ لوقا ١ : ١ ـ ٤ » .

ويتضح من ذلك عدة أمور :

ـ أن كثيرين قد أخذوا فى تأليف قصص عن المسيح وبشارته ، وهم قد كتبوا أناجيل من عندهم ومن المعلوم أن القرون الأولى من الميلاد قد انتشرت فيها أناجيل كثيرة .

ـ وأن لوقا كتب ما كتب كرسالة شخصية الى عزيزه ثاوفلس الذى قيل أنه كان ثريا من الاسكندرية .

ـ وأن لوقا كتب رسالته الى ثاوفلس بدافع من نفسه : (رأيت أنا أيضا) وأنه عمل فى رسالته بجهده الخاص : (تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق) .

ـ ولم يدر بخلد لوقا أن ما كتبه آنذاك سوف يكون سفرا مقدسا يستخرج منه ملايين البشر عقائدهم الدينية ، لأن ما كتبه رسالة شخصية لصديقه : (لتعرف صحة الكلام) .

وغنى عن البيان أن لوقا لم يكن من تلاميذ المسيح الذين عاينوه وتربوا بين يديه . ومن المعلوم كذلك أن كتابات الوحى لا بد وأن ينمحى فيها كل أثر للجهود الشخصية للعبد الصالح ، الذى لا يكون عمله سوى التوصيل بأمانة لكلمة السماء .

*

٢ ـ انجيل متى :

يقرر الكاتب أن ما يكتبه هو : « كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن ابراهيم ..

أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا . لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس ـ متى ١ : ١ ، ٨ » .

وليس فى هذا الكلام او فى غيره ما ينص على أنه وحى من الله .

*

٣ ـ انجيـل مرقس :

وما قيل عن انجيل متى يقال عن انجيـل مرقس بالنسبة لموضـوع الوحى ، الا أن كاتب انجيل مرقس قرر أن يسمى كتابه انجيلا فقال :

« بدء انجيـل يسوع المسيح ـ مرقس ١ : ١ » .

*

٤ ـ انجيـل يوحنا :

يختلف هذا الانجيل عن الثلاثة الأول بنزعته الفلسفية ، لكنه يقـرر امرا هاما وهو انه قد كتب لغرض حدده الكاتب سلفا وروى قصته لتصل به الى النتيجـة التى أرادها ، وهى الاعتقاد بأن المسـيح هو ابن الله . فهو يقـول :

« وآيات اخر كثيرة صنعها يسوع قدام تلاميذه لم تكتب فى هـذا الكتاب . وأما هـذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ـ يوحنا ٢٠ : ٣٠ ـ ٣١ » .

ويختم الكاتب كتابه فيقول :

« هـذا هو التلميـذ الذى يشهد بهـذا وكتب هـذا . ونعلم أن شهادته حق .

واشياء اخر كثيرة صنعها يسـوع ان كتبت واحـدة فلست اظن أن العـالم نفسه يسع الكتب المكتوبة ـ يوحنا ٢١ : ٢٤ ـ ٢٥ » .

ومن البديهيات أن وحى الله الى خلقه لا يقوم على ظنون وتخمينات ، انمـا يقـرر الحق المجرد الخالى من القصور أو المبالغات .

*

(ب) اعمـال الرسل :

لقد اخذ الجزء الأول من رسالة لوقا الى عزيزه ثاوفلس وعرف باسم

« انجيل لوقا » دأما الجـزء الباقى من تلك الرسالة فقد عرف باسم « أعمال الرسل » ـ اذ أنه يحكى حال تلاميذ المسيح ومن انضم اليهم بعد رفعه الى السماء . كذلك فانه يبين المجهودات التى أسهم بها أولئك الدعاة فى نشر المسيحية فى أيامها الأولى .

وفى هـذا يقول لوقا كاتب الرسالة ومنشؤها :

« الكلام الأول انشأته ياثاوفيلس عن جميع ما ابتـدأ يسـوع يفعله ويعلم به الى اليوم الذى ارتفع فيه بعدما أوصى بالروح القدس الرسـل الذين اختارهم ـ أعمال الرسل ١ : ١ ـ ٢ » .

*

(ج) رسائل بولس :

ما كان بولس من تلاميـذ المسيح ورسـله ، وما راى المسيح ولو مرة واحـدة فى حياته ، لكنـه اشـتهر فى زمانه بتعصبه ليهوديته واضطهاده للمسيحيين . ولقد اتهم كثـيرا بالسطو على الكنيسة ثم فجاة اعلن بولس نفسه رسولا للمسيح بعد قصـة رواها عن نفسه وشـك فيها التلاميذ ، ولهذا رفضوا دخوله فى مجتمعهم ، لولا شـفاعة برنابا الرجل الصـالح الذى كانوا يثقون فيه .

وفى هذا تقول رسالة الأعمال :

« اما شاول (بولس) فكان لم يزل ينفث تهددا وقتلا على تلاميذ الرب فتقدم الى رئيس الكهنة . وطلب منه رسائل الى دمشـق الى الجماعات حتى اذا وجـد اناسا من الطـريق رجالا أو نساء يسـوقهم موثقـين الى أورشليم وفى ذهابه حدث أنه اقترب الى دمشق فبغتـة أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا له شاول شاول لماذا تضـطهدنى فقال من أنت يا سـيد ـ **فقـال الرب أنا يسـوع** الذى أنت تضطهده .. فقال وهو مرتعد ومتحير يا رب ماذا تريد أن أفعـل . فقال له الرب قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغى أن تفعل ..

وكان شاول مع التلاميـذ الذين فى دمشـق أياما . وللوقت جعـل يكرز فى المجامع بالمسيح ان هـذا هو ابن الله . فبهت جميع الذين كانوا يسمعون وقالوا أليس هـذا هو الذى أهلك فى أورشليم الذين يدعون بهذا الاسم . وقد جاء الى هنـا لهـذا ليسوقهم موثقـين الى رؤساء الكهنة ..

ولما جاء شاول الى اورشليم حاول ان يلتصق بالتلاميذ . وكان الجميع يخافونه غير مصدقين انه تلميذ . فاخذه برنابا واحضره الى الرسل وحدثهم كيف أبصر الرب فى الطريق وأنه كلمه وكيف جاهر فى دمشق باسم يسوع ــ أعمال الرسل ٩ : ١ ــ ٢٨ » .

ويقرر سفر أعمال الرسل أن تلك الرؤيا النورانية لم يكن لها من شهود سوى بولس ، حتى أن الرجال المسافرين معه لم يروا شيئا مما تحدث عنه :

« واما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون احدا ــ اعمال الرسل ٩ : ٧ » .

لكن هنا وقفة لابد منها ، ذلك أن سفر أعمال الرسل عاد ليحدثنا مرة أخرى عن تلك الرؤيا ــ التى اقتحم بها بولس المسيحية ليجعل نفسه مبشرها الأكبر فيما بعد ــ فيعرض لنا ما يخالف روايته السابقة . فهو يقول هذه المرة على لسان بولس :

« ابرق حولى من السماء نور عظيم . فسقطت على الأرض وسمعت صوتا . . قال لى أنا يسوع الناصرى . . **والذين كانوا معى نظروا النور . . لكنهم لم يسمعوا صوت الذى كلمنى** ــ اعمال الرسل ٢٢ : ٦ ــ ٩ » .

فعلى حسب الرواية الأولى نجد ان المسافرين مع بولس : سمعوا الصوت لكنهم لم ينظروا النور ، واما حسب الرواية الثانية فانهم نظروا النور لكنهم لم يسمعوا الصوت !

*

وكذلك ما راى بولس احدا من تلاميذ المسيح المختارين سوى بطرس ويعقوب اخا المسيح وذلك بعد مدة تزيد عن الثلاث سنوات كان قد بدا فيها الدعوة الى عقيدته الجديدة بتعليمه الخاص غير منتظر مواعظ او تعاليم من تلاميذ المسيح ورسله . وفى هذا يقول بولس عن نفسه :

« لما سر الله الذى افرزنى من بطن أمى ودعانى بنعمته . أن يعلن ابنه فى لأبشر به بين الأمم للوقت لم استشر لحما ودما . ولا صعدت الى أورشليم الى الرسل الذين قبلى بل انطلقت الى العربية ثم رجعت أيضا الى دمشق .

ثم بعد ثلاث سنين صعدت الى أورشليم لأتعرف ببطرس فمكثت عنده خمسة عشر يوما . ولكننى لم أر غيره من الرسل الا يعقوب أخا الرب .

والذى أكتب به اليكم هو ذا قدام الله انى لست اكذب فيه .

وبعد ذلك جئت الى اقاليم سورية وكيليكية ولكننى كنت غير معروف بالوجه عند كنائس اليهودية التى فى المسيح — غلاطية ١:١٥—٢٢».

ولقد استمر بولس فى الدعوة بطريقته الخاصة ما يزيد عن اربعة عشر عاما حتى حدث ما اضطره أن يعود الى أورشليم ليعرض على كبار التلاميذ « المعتبرين » التعاليم التى بشر بها وليتأكد منهم أن ما أشاعه فى الدعوة كان **خاليا من الأباطيل** . ويروى بولس أنهم وافقوه على التبشير بين الأمم غير اليهودية :

« ثم بعد أربع عشرة سنة صعدت أيضا الى أورشليم مع برنابا آخذا معى تيطس أيضا . وانما صعدت بموجب اعلان وعرضت عليهم الانجيل الذى أكرز به بين الأمم ولكن بالانفراد على المعتبرين لئلا أكون اسعى أو قد سعيت باطلا .. فان هؤلاء المعتبرين لم يشيروا على بشىء بل بالعكس اذ رأوا أنى أؤتمنت على انجيل الغرلة كما بطرس على انجيل الختان ..

فاذا علم بالنعمة المعطاة لى يعقوب وصفا ويوحنا المعتبرين انهم أعمدة أعطونى وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم وأما هم فللختان . غير أن نذكر الفقراء وهذا عينه كنت اعتنيت أن افعله — غلاطية٢:١—١٠».

❋

ولقد حرص بولس دائما على أن يضع نفسه بين افضل رسل المسيح، وكان يرى انه يستطيع التصدر فى الدعوة المسيحية وحيدا ، دون ما حاجة الى معاونة او توجيه . فهو يقول فى رسائله :

« ألست أنا رسولا . ألست أنا حرا . اما رأيت يسوع المسيح ربنا — (١) كورنثوس ٩ : ١ » .

« فليحسبنا الانسان كخدام المسيح ووكلاء سرائر الله — (١) كورنثوس : ٤ : ١ » .

« ليتكم تحتملون غباوتى قليلا . بل أنتم محتملى .. انى أحسب أنى لم أنقص شيئا عن فائقى الرسل . وان كنت عاميا فى الكلام فلست فى العلم — (٢) كورنثوس ١١ : ١ — ٦ » .

« استحسنا من الله أن نؤتمن على الانجيل — (١) تسالونيكى ٢:٤ » .

« انى أقول لكم أيهـا الأمم بما انى رسـول للأمم أمجد خدمتى — رومية ١١ : ١٣ » .

« قد جاهدت الجهاد الحسن اكملت السعى حفظت الايمان . وأخيرا قد وضع لى اكليل البر — (٢) تيموثاوس ٤ : ٧ — ٨ » .

وقرر بولس فى رسائله ان تعاليمه فى المسيحية هى شىء يختص به ، وينفرد باعلانه :

« وأعرفكم أيها الأخـوة الانجيـل الذى بشرت به أنه ليس بحسب انسان . لأنى لم أقبله من عند انسان ولا علمته . بل باعلان يسوع المسيح — غلاطيه ١ : ١١ — ١٢ » .

ولقد مر بنا منذ قليل قوله : « لم أستشر لحما ودما .. ولا صعدت الى الرسل الذين قبلى » .

❋

وسار بولس فى الدعوة الى المسيحية وفق مبـدأ اختطه لنفسه ، وهو ان يكسب اكبر عدد من الأتباع بصرف النظر عن حقيقة قبولهم العقيدة الجديدة ، وايمـانهم بهـا ايمـانا خاليـا من شوائب عقائدهم السابقة .
ولقد نتج عن ذلك أن دخـل كثـيرون فى المسيحية على يد بولس بأفكارهم وعقائدهم القديمة ، واغلبها عقائد وثنية . ذلك أن ما كان يطمع فيه بولس هو أن ينشىء « كمنولث مسيحى » يقـوم على أفراد وطوائف شـتى يكفى الا يربطها سوى اسم المسيح والصليب . ويرى الباحثون أن فكرة الكومنولث المسيحى قد تأثر بها بولس من الأحوال السياسية والأفكار الفلسفية التى كانت سـائدة آنذاك فى العـالم الرومانى الوثنى . وفى هـذا يقـول تشـالز دود :

« لقد أوضحنا سلفا أن فكرة الكمنولث العالمى كانت شائعة فى العالم الوثنى وكانت روما فى تأثرها بالمثـل العالية للرواقيين — الذين قدموا فى أيام بولس رئيسا لوزراء الامبراطورية ، وفى القرن التالى له اعتلى أحدهم عرش الامبراطورية — فحـاول تأسيس ذلك الكمنولث — ولقد تأثر بولس كأحد المواطنين الرومان بهذه الأفكار (١) » .

---

(١) C. H. Dodd : The Meaning of paul For Today, F. B., London, 1964, P. 49

ومن اجل ذلك لم يتحـرز بولس عن استخدام كل الوسائل لكسب الاتبـاع :

« اذ كنت حرا من الجميع استعبدت نفسى للجميع لأربح الأكثرين . فصرت لليهود كيهودى لأربح اليهود . وللذين تحت الناموس كأنى تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس . وللذين بلا ناموس كأنى بلا ناموس . لأربح الذين بلا ناموس . صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء — صرت للكل كل شيء لأخلص على كل حال قوما . وهذا أنا أفعله لأجل الانجيـل لأكون شريكا فى — (١) كورنثوس ٩ : ١٩ — ٢٣ » .

ولم يكن هنـاك حرج من الكذب فى الدعوة طالمـا قد عرف النـاس اسم الله :

« أن كان صدق الله قد ازداد بكذبى لمجده فلمـاذا أدان أنا بعـد كخاطىء — روميه ٣ : ٧ » .

❋

اما برنابا الذى قدم بولس للتـلاميذ فقد كان رجلا صالحا ممتلئا من الروح القـدس ، وكان رسـولا مفوضا من التـلاميذ الى مختلف المدن وكنائسها ليبشر بتعاليم المسيح . وكان يدعو بولس لمرافقتـه فى رحـلاته التبشيرية . وقد استمرت جهود برنابا مخلصة للدعوة المسيحية طيـلة حيـاته :

« ويوسف الذى دعى من الرسـل برنابا الذى يترجم ابن الوعظ هو لاوى قبرسى الجنس . اذ كان له حقل باعه وأتى بالدراهم ووضعها عنـد أرجل الرسل — أعمال الرسل ٤ : ٣٦ — ٣٧ » .

« سمع الخبر عنهم فى آذان الكنيسة التى فى أورشليم فأرسلوا برنابا لكى يجتاز الى انطاكية الذى لمـا أتى ورأى نعمة الله فرح ووعظ الجميـع أن يثبتوا فى الرب بعزم القلب .

لأنه كان رجـلا صالحـا وممتلئا من الروح القدس والايمـان فانضم الى الرب جمع غفير .

ثم خرج برنابا الى طرسوس ليطلب شاول (بولس) ولما وجده جاء به الى انطاكية فحدث أنهما اجتمعا فى الكنيسة سنة كاملة وعلما جمعا غفيرا . ودعى التلاميذ مسيحيين فى انطاكية أولا — أعمال الرسل ١١ : ٢٢ — ٢٦ » .

لكن الوفاق بين برنابا وبولس لم يلبث أن انفض ، وحدثت بينهما مشاجرة لعدة اسباب منها تعصب بولس واحتكاره الدعوة المسيحية ، فذهب كل منهما لحال سبيله :

« ثم بعد أيام قال بولس لبرنابا لنرجع ونفتقد اخوتنا فى كل مدينة نادينا فيها بكلمة الرب كيف هم . فأشار برنابا أن يأخذا معهما أيضا يوحنا الذى يدعى مرقس . وأما بولس فكان يستحسن أن الذى فارقهما من بمفيليه ولم يذهب معهما للعمل لا يأخذانه معهما .

فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق احدهما الآخر — اعمال الرسل ١٥ : ٣٦ — ٣٩ » .

ولم تكن آراء بولس ومعتقداته مخالفة لبرنابا فقط ، بل انها كانت موضع مؤاخذة من تلاميذ المسيح ورسله . فقد شاع عن بولس انه يحقر الناموس ويدعو الى إبطال العمل به . وقد كان هذا سببا فى تذمر اليهود الذين اعتنقوا المسيحية ، وهم الذين تعلموا أن المسيح قد عظم الناموس ودعا دائما الى التمسك به :

« ولما وصلنا الى أورشليم قبلنا الأخوة بفرح . وفى الغد دخل بولس معنا الى يعقوب وحضر جميع المشايخ .. وقالوا له أنت ترى أيها الاخ كم يوجد ربوة من اليهود الذين آمنوا هم جميعا غيورون للناموس . **وقد اخبروا عنك انك تعلم جميع اليهود الذين بين الأمم الارتداد عن موسى** قائلا أن لا يختنوا أولادهم ولا يسلكوا حسب العوائد . فاذا ماذا يكون لابد على كل حال أن يجتمع الجمهور لأنهم سيسمعون أنك قد جئت فافعل هذا الذى نقول لك . عندنا أربعة رجال عليهم نذر خذ هؤلاء وتطهر معهم وانفق عليهم ليحلقوا رؤوسهم فيعلم الجميع أن ليس شىء مما أخبروا عنك بل تسلك أنت أيضا حافظا للناموس .

حينئذ أخذ بولس الرجال فى الغد وتطهر معهم — أعمال الرسل ٢١ : ١٧ — ٢٦ » .

ومهما كان من تظاهر بولس بمجاملة الناموس ، فان هذا لا يغير

من حقيقة الأمر شيئا وهو أن بولس عمل دائما على ابطال الناموس وأحكامه، مخالفا بذلك تعاليم المسيح الذى قال :

« لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل فانى الحق أقول لكم الى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل » .

ان رسائل بولس لهى خير شاهد على موقفه من الناموس وتعاليمه ، فهو يقول :

« أيها الغلاطيون الأغبياء . . أريد أن أتعلم منكم هذا فقط بأعمال الناموس أخذتم الروح أم بخبر الايمان . أهكذا أنتم أغبياء .

جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة لأنه مكتوب ملعون كل من لا يثبت فى جميع ما هو مكتوب فى كتاب الناموس ليعمل به .

ولكن أن ليس أحد يتبرر بالناموس عند الله فظاهر لأن البار بالايمان يحيا . ولكن الناموس ليس من الايمان بل الانسان الذى يفعلها سيحيا بها . .

قد كان الناموس مؤدبنا الى المسيح لكى نتبرر بالايمان ولكن بعد ما جاء الايمان لسنا بعد تحت مؤدب — غلاطية ٣ : ١ — ٢٥ » .

« أنا بولس أقول لكم أنه ان اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئا .

قد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس . سقطتم من النعمة — غلاطية ٥ : ٢ — ٤ » .

« انه يصير ابطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها اذ الناموس لم يكمل شيئا — عبرانيين ٧ : ١٨ — ١٩ » .

« وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال — عبرانيين ٨ : ١٣ » .

وكذلك تصارع بولس مع بطرس — شيخ التلاميذ — واتهمه بالرياء ، ومخالفة انجيل المسيح :

« لما أتى بطرس الى انطاكية قاومته مواجهة لأنه كان ملوما . لأنه قبلما أتى قوم من عند يعقوب كان يأكل مع الأمم ولكن لما أتوا كان يؤخر ويفرز نفسه خائفا من الذين هم من الختان . ورأى معه باقى اليهود أيضا

حتى أن برنابا أيضا انقاد الى ريائهم . ولكن لما رأيت أنهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الانجيل قلت لبطرس قدام الجميع ان كنت وانت يهودى تعيش أمميا لا يهوديا فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا - غلاطية ٢ : ١١ - ١٤ » .

ولو كان بولس من تلاميذ المسيح ، او لو كان هناك انجيل مكتوب فى أيام بولس يقرأ منه ، لما كان هذا موقفه من بطرس الذى قال له المسيح :

« أنا أقول لك أيضا انت بطرس وعلى هذه الصخرة ابنى كنيستى وأبواب الجحيم لن تقوى عليها . وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا فى السماوات . وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا فى السماوات - متى ١٦ : ١٨ - ١٩ » .

لكن الذى حدث هو ان ما ربطه بطرس على الأرض حله بولس على الأرض أيضا .

ذلك بعض ما كان من أمر بولس وتعاليمه التى أوجدها فى المسيحية وكان من وراء ذلك ما كان .

*

هذا - ولننظر الآن فى رسائل بولس لنرى كيف كتبت ، وحقيقة امرها من ناحية الوحى .

١ - لقد كانت كتابات بولس رسائل شخصية فى شكلها العام ، فقد كانت تبدأ بالتعريف بنفسه والتأكيد على انه رسول المسيح ، ثم يتبع ذلك بالسلام والتحيات ، وأخيرا يختمها بالحديث عن الأشواق والقبلات الى النساء والرجال على السواء :

« بولس عبد اليسوع المسيح المدعو رسولا المفرز لانجيل الله .. الى جميع الموجودين فى رومية أحباء الله مدعويين قديسين . نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح - رومية ١ : ١ - ٧ » .

« أوصى اليكم بأختنا فيبى التى هى خادمة الكنيسة التى فى كنخريا كى تقبلوها فى الرب كما يحق للقديسين وتقوموا لها فى اى شىء احتاجته منكم . لأنها صارت مساعدة لكثيرين ولى أنا أيضا .

سلموا على أبينتوس حبيبى .. سلموا على مريم التى تعبت لأجلنا كثيرا . سلموا على اندرونكوس ويونياس نسيبى المأسورين معى الذين هما مشهوران بين الرسل ..

سلموا على امبلياس حبيبى فى الرب ..

سلموا على هيروديون نسيبى ..

سلموا على تريفينا وتريفوسا التاعبتين فى الرب ..

سلموا على برسيس المحبوبة التى تعبت كثيرا فى الرب ..

سلموا على روفس المختار فى الرب وعلى امه أمى ..

سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة ..

يسلم عليكم تيموثاوس العامل معى والوكيوس وياسون وسوسيباترس انسبائى ـ رومية ١٦ : ١ ـ ٢١ » .

« بولس المدعو رسولا ليسوع المسيح بمشيئة الله .. نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح ـ (١) كورنثوس ١ : ١ ـ ٣ » .

« يسلم عليكم الاخوة أجمعون .

سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة ـ (١) كورنثوس ١٦ : ٢٠ » .

« أخيرا أيها الاخوة افرحوا .. سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة ـ (٢) كورنثوس ١٣ : ١١ ـ ١٢ » .

سلموا على الأخوة جميعا بقبلة مقدسة ـ (١) تسالونيكى ٥ : ٢٦ » .

« بولس رسول يسوع المسيح بحسب أمر الله .. الى تيموثاوس الابن الصريح فى الايمان نعمة ورحمة وسلام من الله أبينا والمسيح يسوع ربنا ـ (١) تيموثاوس ١ : ١ ـ ٢ » .

سلم على فرسكا واكيلا وبيت اتيسيفورس .. يسلم عليك افبولس ـ (٢) تيموثاوس ٤ : ١٩ ، ٢١ » .

« بولس أسير يسوع المسيح وتيموثاوس الأخ الى فليمون المحبوب والعامل معنا والى ابفية المحبوبة ـ فليمون ١ : ١ ـ ٢ » .

٢ ـ وكانت كتابات بولس رسائل شخصية بما احتوته من مطالب وشكاوى وامور شخصية بحتة :

« بادر أن تجيء سريعا لأن ديماس قد تركنى .. لوقا وحده معى . خذ مرقس واحضره معك لأنه نافع لى للخدمة .

الدواء الذى تركته فى تراوس عند كاربس أحضره متى جئت ..

اسكندر النحاس اظهر لى شرورا كثيرة .. فاحتفظ منه أنت أيضا لأنه قاوم اقوالنا جدا . بادر أن تجيء قبل الشتاء — (٢) تيماثاوس ٤ : ٩ — ٢١ » .

« حينما أرسل اليك ارتيماس أو تيخيكس بادر أن تأتى الى نيكوبوليس لأنى عزمت أن أشتى هناك — تيطس ٣ : ١٢ » .

« أنا واثق باطاعتك كتبت اليك عالما انك تفعل ايضا اكثر مما أقول. ومع هذا اعدد لى ايضا منزلا لأنى ارجو اننى بصلواتكم سأوهب لكم — فليمون ١ : ٢١ — ٢٢ » .

٣ — كذلك كانت كتابات بولس رسائل شخصية فى مضمونها اذ اعترف فيها صراحة بأنه كتبها من نفسه ، وأبرز فيها آراءه واجتهاداته الشخصية التى قد تتفق وتعاليم المسيح أو لا تتفق :

« أما من جهة الأمور التى كتبتم لى عنها فحسن للرجل أن لا يمس امرأة .. واما الباقون **فاقول لهم انا لا الرب** ان كان اخ له امرأة غير مؤمنة وهى ترتضى أن تسكن معه فلا يتركها .. وأما العذارى **فليس عندى امر من الرب فيهن ولكننى اعطى رايا ..**

المرأة مرتبطة بالناموس ما دام رجلها حيا . ولكن ان مات رجلها فهى حرة لكى تتزوج بمن تريد فى الرب فقط ولكنها أكثر غبطة ان لبثت هكذا **بحسب رأيى .. واظن انى انا ايضا عندى روح الله** — (١) كورنثوس ٧ : ١ — ٤٠ » .

« **لست اقول على سبيل الأمر بل باجتهاد** آخرين مختبرا اخلاص محبتكم .. **أعطى رايا فى هذا** ايضا لأن هذا ينفعكم — (٢) كورنثوس ٨ : ٨ ، ١٠ » .

« من جهة الخدمة للقديسين هو فضول منى أن اكتب اليكم — (٢) كورنثوس ٩ : ١ » .

« هذا أكتبه اليك راجيا أن آتى اليك عن قريب — (١) تيموثاوس ٣ : ١٤ » .

* *

(د) رسائل التلاميذ :

لا تختلف كثيرا رسائل التلاميذ عن رسائل بولس الا فى وضوح هدف كتبة تلك الرسائل وبيان تعاليمهم التى كانت مواعظ شخصية .

ففى رسالة بطرس الأولى نجدها تبدأ :

« بطـــرس رســول يسوع المسيح الى المتغربين من شــتات بنتس وغلاطية .. بمقتضى الآب .. لتكثر لكم النعمة والسلام .

وتنتهى الرسالة :

(بيــد سلوانس الأخ الأمين كما اظن كتبت اليــكم بكلمات قليـــلة واعظا ..

سلموا بعضكم على بعض بقبلة المحبة » .

*

كذلك كانت رسالة يوحنا الثالثة تمثل رسالة شخصية الى :

« غايس الحبيب الذى أنا أحبــه بالحق .

أيها الحبيب فى كل شىء أروم أن تكون ناجحا وصحيحا كما أن نفسك ناجحـــة ..

أيهـــا الحبيب أن تفعــــل بالأمانة كل ما تصنعه الى الأخــوة والى الغـــرباء ..

أيها الحبيب لا تتمثل بالشر ..

كان لى كثير لأحبه لكننى لست أريد أن أكتب اليك بحبر وقلم .. ولكننى أرجو أن أراك عن قريب ..

فنتكلم فما لفم . سلام لك يسلم عليك الأحباء .

سلم على الأحبــاء بأسمائهم » .

*

والآن نستطيع القــول بان حالات الوحى ووسائله فى أسفار العهـــد الجديد لم تخرج عن نطاق ما سبق بيانه فى أسفار العهد القديم .

كذلك فان أسفار العهد الجـــديد قد كتب اغلبها بالجهود الشخصية لاصحابها لتحكى ما كان من أمر المسيح ورسالته فى صدرها الأول .

* * *

الوحى فى القرآن الكريم

ينبئنا القرآن الكريم بالكثير من اخبار الوحى ووسائله مع الأنبيـاء السابقين فنعلم الآتى :

قد يكون الوحى بالرؤيا المنامية ، يراها العبد الصالح ، ويوقن انها وحى الله ، وعندئذ يتبع ما أوحى اليه ويسير على هديه .

ولقد كان ذلك هو الحـال مع ابراهيم حين ابتـلاه الله بذبح ولده الوحيـد الذى لم يرزق به الا فى شيخوخته . وقام ابراهيم بعزم المؤمنين ينفـذ الأمر رغـم ما كان يعانيـه من صراعات وآلام . ولكن رحمـة الله تداركت الوالد الصادق والوليـد الصـابر ، وصرفت عنهما ذلك الكرب العظيم :

« فبشرناه بغـلام حليم . فلمـا بلغ معه السعى قال يا بنى انى أرى فى المنـام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ، قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شـاء الله من الصابرين . فلمـا أسلما وتـله للجبين . وناديناه أن يا ابراهيم . قد صدقت الرؤيا ، انا كذلك نجزى المحسنين . ان هـذا لهو البـلاء المبين » . (الصافات : ١٠١ ـ ١٠٦)

*

ويكون الوحى بظهور الملائكة فى صور بشرية تلقى وحى الله وتعليمه الى المصطفين من خلقه وتخاطبهم بلغاتهم . وقد تعـرض لذلك ابراهيم حين جاءته البشرى بولده اسحق من زوجه العاقر سارة .

وحدث ذلك مع لوط حين جاءه النذير باهلاك قومه ـ وقد رأينـا ذلك سلفا .

*

كذلك يكون الوحى بسـماع اصوات الملائكة وهى تلقى وحى الله الى العبيد الصالحين مثل ما كان من أمر زكريا ، ومريم ، حين جاءتهما البشرى بوليد منتظر :

« هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك

سميع الدعاء . فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك بحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ..

اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم ، وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين » .

(آل عمران : ٣٨ ـ ٣٩ ؛ ٤٥)

❋

وتلقى موسى وحى الله فى صور شتى . فقد كان أول الوحى اليه نداء إلهى ، أحس موسى أنه صادر من الشجرة المتلألئة المباركة ، وأيقن أنه كلام الله :

« فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا ، قال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون . فلما آتاها نودى من شاطىء الواد الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى انى أنا الله رب العالمين » .

(القصص : ٢٩ ـ ٣٠)

❋

ويبين القرآن الكريم فى وضوح طرق تلقى أعظم الوحى ـ الا وهو كلام الله ـ فيقول :

« وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا ، أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء ، انه على حكيم » .

(الشورى : ٥١)

والمراد من الوحى فى قوله تعالى : « أن يكلمه الله الا وحيا » هو الالهام حيث تفرض على العبد الصالح حالة لا دخل له فى تحديد كل ما يتعلق بها من زمان ومكان وكيفية ، ولكنها حالة « فيض الهى » يتعرض لها حتى اذا ما فارقته كان قد وعى تماما ما ألهم به .

ومن ذلك ما حدث لأم موسى فيما حكاه الله بقوله :

« وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه ، فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ، ولا تخافى ولا تحزنى ، انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين »

(القصص : ٧)

أما الحالة الثانية فهى الكلام « من وراء حجاب » كما حدث لموسى الذى عرف أنه كليم الله : « وكلم الله موسى تكليما » .

(النساء : ١٦٤)

ولا يمكن التصور ولو للحظة واحدة أن الحديث عن كلام الله هنا يمكن أن يعطى مفهوما الحالة يتم فيها « عمل ميكانيكى » ينتج عنه احداث صوت أو نحوه — ذلك أن الله « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير »
(الشورى : ١١)

وقد شرح الغزالى ذلك بقوله : « وسماع النبى من الله يكون بغير واسطة .. ويستحيل أن يكون بحرف أو صوت ، لكن يكون بخلق الله علما ضروريا يدرك به الرسول ثلاثة أمور : أولها — أن المتكلم هو الله تعالى ، وثانيها : أن ما سمعه هو كلام الله سبحانه ، وثالثها : مراد الله من كلامه عز شأنه والقدرة الالهية الأزلية لا تقصر عن ذلك » (١) .

أما الحالة الثالثة فانها تكون عن طريق الملك الذى يأتى العبد الصالح رسولا من عند الله فينقل إليه كلام الله محدد المعالم ميسر البيان. وذلك ما يفهم من قوله تعالى :

« أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء » .

والقرآن الكريم هو كلام الله الذى نزل على رسوله ، وأمر بتبليغه الى الناس جميعا :

« قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا اله الا هو يحيى ويميت » .
(الأعراف : ١٥٨)

ولقد أمر الرسول أن يبين للناس كل ما يتعلق بالقرآن حتى يكون دخولهم فى دين الله عن بصيرة واقتناع يقوم على المنطق والبرهان :

« وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ، ولعلهم يتفكرون » . (النحل : ٤٤)

« فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول .. ذلك خير وأحسن تأويلا » . (النساء : ٥٩)

وكان أول ما نزل من القرآن دعوة صريحة الى التعليم ، وتكريما للعلم ، وتقريرا لحقيقة علمية ترتبط بخلق الانسان الذى يجب أن يعرف مم كانت نشأته :

---

(١) الوحى الى الرسول محمد : عبد اللطيف السبكى — ص ٨٣ ، ٨٤ .

« اقــرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقــرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » .
(العــلق : ١ — ٥)

ولقد عرفت هذه السور باسم : سورة « العلق » .

وعن طريق هذا التعليم الالهى عرف أهل الصحراء منذ نحو اربعة عشر قرنا مضت — وهم على حالهم ذاك من البـداوة والتخلف ، ودون معرفة بطـرق العلم الحـديث وأدواته من ميكروسكوب وغيره — أن بذرة الانسان الأولى انمـا هى كائن حى يسـعى ، وان كان لا يرى بالعـين المجـردة .

وباشراق هذا الروح المضىء على المسلمين الأوائل ، تفتحت قلوبهم وعقولهم على الكون وما فيه ، وانطلقوا فى طريق العلم يبحثون عن الحق والخير ، وما كان لهم من معلم سوى الرسول النبى الأمى الذى جاءه العلم وحيـا من عند الله .

وكانوا لذلك يسألونه ، وينتظر الرسـول خبر السـماء ، حتى اذا جاءه علمـه ما يقول :

« يسألونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وما تفعلوا من خير فان الله به عليم »
(البقرة : ٢١٥)

« ويسألونك عن المحيض ، قل هو اذى ، فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن ، فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ، ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » . (البقرة : ٢٢٢)

« يسألونك عن الساعة أيان مرساها ، قـل انمـا علمها عنـد ربى ، لا يجليها لوقتها الا هو ، ثقلت فى السـموات والأرض ، لا تأتيـكم الا بغتـة » . (الأعراف : ١٨٧)

« ويسألونك عن الروح ، قـل الروح من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا » . (الاسراء : ٨٥)

ولقد حدث ابن ابى مليكة قال ان : عائشة زوج النبى كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه الا راجعت فيه حتى تعرفه » .

وما كان أمر الوحى ليمضى دون سؤال ولو من بعض المسلمين الأوائل الذين فاتهم نصيب من مشاهدة احدى حالاته ، وهؤلاء أجابهم الرسول وعلمهم ما كان من أمره .

كذلك تكلم الصحابة فى أمر الوحى وشهدوا بما رأته أعينهم من حالات ، وما سمعته آذانهم من أصوات تصاحب نزول الوحى كأنها دوى النحل أو صلصلة الجرس .

فلقد سأل الحارث بن هشام الرسول فقال : يا رسول الله : كيف يأتيك الوحى ؟ . فقال الرسول : أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده على ، فيفصم عنى وقد وعيت ما قال . وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول » .

وقالت عائشة : « أول ما بدىء به رسول الله من الوحى : الرؤيا الصالحة فى النوم . فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح .

ثم حبب اليه الخلاء . وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه .. حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك فقال اقرأ . قال ما أنا بقارىء . قال (الرسول) فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى . فقال اقرأ . قلت ما أنا بقارىء . فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى . فقال اقرأ قلت ما أنا بقارىء . فأخذنى فغطنى الثالثة ثم أرسلنى .

فقال : اقرأ باسم ربك الذى خلق ــ خلق الانسان من علق ــ اقرأ وربك الأكرم . فرجع بها رسول الله يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال : زملونى .. زملونى .. فزملوه حتى ذهب عنه الروع . فقال لخديجة وأخبرها الخبر :

لقد خشيت على نفسى . فقالت خديجة : كلا والله . ما يخزيك الله أبدا . انك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق » (١) .

ان التجارب الانسانية تبين أن الأحداث الهامة فى حياة الأفراد والأمم تلازمها دائما الشدة والجد .. وهى لذلك تستقر فى باطن العقول ، وتنطبع فى أعماق النفوس ، وتستولى على المشاعر والوجدان ، وتحكم سلوك الناس ازمانا طويلة .

---

(١) صحيح البخارى ــ الجزء الأول .

ولا شك ان الوحى من اخطر ما عرفته البشرية من احـداث فرادى وجماعات ، اذ انه شيء يتعلق بحياتهم الحاضرة ومصيرهم الأبدى .

وما كان الوحى لينزل على رســل الله وهم فى لهو وسرور وعنـه غافلون ، لا يعبأون به ولا يدرون من امره شيئا .

لكن تجـربة الوحى معهم كانت تلازمها دائما شـدة وتنبيه خاص يهيىء السبيل لطبع آياته فى عقولهم ، ونقش تعاليمه فى افئدتهم .

ولقد كان هذا هو حال موسى الذى كان يغطى وجهـه وتتغير هيئته فزعا من خطورة الموقف .

ففى أول وحى تلقـاه موسى ـ كما تذكر أسفاره :

غطى موسى وجهه لأنه خاف ـ خروج ٣ : ٦ » .

« وكان لمـا نزل موسى من جبل سيناء ولوحا الشهادة فى يد موسى عند نزوله من الجبل أن موسى لم يعلم أن جلد وجهه صار يلمع فى كلامه معـه . **فنظر هارون وجميع بنى اسرائيل موسى واذا جلد وجهه يلمع. فخافوا ان يقتربوا اليه . .**

ولمـا فرغ موسى من الكلام معهم جعـل على وجهـه برقعا ـ خروج ٣٤ : ٢٠ ـ ٣٣ » .

وتتكلم عن ذلك أسـفار العهد الجـديد فتقول : « **كان المنظر هكذا مخيفا حتى قال موسى انا مرتعب ومرتعد** ـ عبرانيين ١٢ : ٢١ » .

ولقد كانت تجـربة الوحى شـديدة على الرسـول كحالة غير عادية تفـــرض عليه ، فيعانى من شدتها ما يعــانى . وفى هذا قال عبادة ابن الصامت :

« كان النبى اذا نزل عليه الوحى كرب له ، وتربد وجهه » .

وقال زيد بن ثابت ـ كاتب رســول الله : « انزل (الوحى) على رسول الله وفخذه على فخذى فكادت ترض فخذى » (١) .

وقال ابو اروى الدوسى : رايت الوحى ينزل على النــبى وانه على

---

(١) تفسير ابن كثير .

راحلتـه ، فترغو ، وتفتـل يديها حتى اظن ان ذراعها تنقصم فربما بركت وربما قامت موتدة يديها ، حتى يسر عنه من ثقل الوحى ، وانه ليتحدر منه مثل الجمان » (١) .

ولم تكن شدة الوحى امرا تفـرد به موسى ومحمد دون غيرهما من انبياء الله ، انمـا كانت ظاهـرة مشتركة خبروها جميعا ، وان اختلفت مقادير شدتها ووقعها .

ويزيدنا القـرآن توضيحا لمـا حدث لموسى فى أول وحى تلقـاه ، فنعلم أنه كان يعانى من ضيق صدره لهول ما تعرض له كيانه البشرى فى تجـربة ذلك الاتصال الروحى العـالى . وبعد أن خفت عليـه شـدة التجربة ، وبدأ يملك زمام نفسه ـ انطلق لسانه بالدعاء الى الله أن يشرح له صـدره حتى يهون عليه أمر الوحى ، ويطيقه دون اجهاد :

« قال رب اشرح لى صدرى . ويسر لى أمرى » (طه : ٢٥ـ٢٦) .

ولقد من الله على رسول الاسلام اذ شرح له صدره ، ومكنه بذلك أن يطيق ثقل الوحى ويتحمل الضيق والشدة التى تلازم نزوله ، فقال :

« ألم نشرح لك صـدرك ... » (الشرح : ١) .

❋

وبين موسى ومحمد نجـد مصابيح كثيرة من الأنبياء عرفت الشـدة عند حـدوث الوحى ونزول الروح الملائكى من السماء وصـمدت لتلك الحـال .

ولقد راينا سابقا كيف تلقى ايليا وحى السماء وسط جو مفـزع حدثت فيه « ريح عظيمة وشديدة قد شقت الجبال وكسرت الصخور.. وبعـد الريح زلزلة وبعد الزلزلة نار .. وبعد النـار صوت منخفض خفيف . فلمـا سـمع ايليـا لف وجهـه برداءه ـ الملوك الأول ١٩ : ١١ ـ ١٣ » .

ورأينا كيف كانت شدة الوحى مع اشـعياء ، وكيف عامله الملاك

---

(١) الطبقات الكبرى ابن سعد ـ بيروت ١٩٦٠ ـ الجزء الأول ـ ص ١٩٧ .

بعنف لدرجة انه كوى شفتيه بالجمر الملتهب ، حتى يهيئه لتلقى الوحى وحمـل الرسالة الى شعبه :

« طار الى واحد من السرافيم (الملائكة) وبيده جمرة قد اخـذها بملقط ومس بها فمى وقال ان هذه مست شفتيك فانتزع اثمـك وكفـر عن خطيتك .

ثم سمعت صـــوتا قائلا من أرسل ومن يذهب من اجلنا . فقلت هأنذا أرسلنى .. فقال اذهب وقل لهـذا الشعب ـ اشعياء ٦:٦ـ٩ » .

وكذلك كان الوحى شديدا مع حزقيال الذى يصف ذلك ويقول :

« حملنى روح فسمعت خلفى صـوت رعد عظيم مبارك مجد الرب من مكانه وصوت أجنحة الحيوانات المتلاصقة الواحد بأخيه وصـــوت البكرات معها وصـــوت رعد عظيم . فحملنى الروح واخذنى فذهبت مرا فى حرارة روحى ويـد الرب كانت شـديدة على .

فجئت الى المسبيين .. وحيث سـكنوا هنـاك سكنت سبعة ايام متحيرا فى وسطهم ـ حزقيال ٣ : ١٢ ـ ١٥ » .

ولم تكم معجزات المسيح تجرى على يديه فى اى وقت شاء ، ولكنها حدثت كما ارادها الله توقيتا وكيفيـة ، وهيا لهـا المسيح بما امده من روح وقوة . وحين كان يفتقد المسيح ذلك المدد الالهى فانه كان يعجز تمـاما عن فعل المعجزات حتى ولو وقف فى مجال التحـدى امام اعدائه والمستهزئين به من اليهود :

« كانوا يعثرون به : فقال لهم يسوع ليس نبى بلا كرامة الا فى وطنه وبين اقربائه وفى بيتـه .

ولم يقدر أن يصنع هنـــاك ولا قوة (معجزة) واحدة ـ مرقس ٦ : ٣ ـ ٥ » .

« خرج الفريسـيون وابتدأوا يحاورونه طالبين منه آية من السماء لكى يجربوه فتنهد بروحه وقال لمـاذا يطلب هـــذا الجيـل آية . الحق أقول لكم لن يعطى هذا الجيل آية ـ مرقس ٨ : ١١ ـ ١٢ » .

ولكن حين يستقبل المسيح ذلك الفيض الالهى ، ويهيا بذلك لصنع المعجزة فانها حين تحـدث تصاحبها معاناة نتيجة لمـا يفقـده المسيح من طاقة يحسها ويشغل نفسه بهـا :

« وامرأة تنزف دم منذ اثنتى عشرة سنة .. لما سمعت بيسوع جاءت فى الجمع من ورائه ومست ثوبه .. فللوقت جف ينبوع دمها وعلمت فى جسمها أنها قد برئت من الداء .

فللوقت التفت يسوع بين الجمع **شاعرا فى نفسه بالقوة التى خرجت منه** وقال من لمس ثيابى :

فقال له تلاميذه أنت تنظر الجمع يزحمك وتقول من لمسنى وكان ينظر حوله ليرى التى فعلت هذا .

وأما المرأة فجاءت وهى خائفة ومرتعدة عالمة بما حصل لها فخرت وقالت له الحق كله — مرقس ٥ : ٢٥ — ٣٣ » .

ولقد كان جبريل ينزل بالقرآن ، يوحى به الى الرسول ويقرؤه عليه آيات مفصلات . وكذلك كان ينزل جبريل بغير القرآن ليعلم الرسول أمورا تختص به وبدعوته ، ولقد كان أكثر نزوله فى رمضان حين كان يدارس الرسول القرآن .

قال ابن عباس : « كان رسول الله أجود الناس ، وكان أجود مايكون فى رمضان حين يلقاه جبريل . وكان يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فرسول الله أجود بالخير من الريح من المرسلة » (١) .

ولقد شاهد المسلمون الأوائل صورا كثيرة من هذا التعليم السماوى ، حدثت احداها حين كان الرسول فى جمع من صحابته واذا بجبريل قد أقبل على مجلسهم متمثلا رجلا شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يبدو عليه آثار السفر . وقد كان فى هيئة بشرية ترتاح لها النفوس وتطمئن لها القلوب ، وبدأ جبريل تعليمه بأسلوب المناقشة التى تقوم على طرح السؤال على الرسول ، وتلقى الجواب منه ، ثم التعليق عليه . وبذلك يتشوق السامعون لمعرفة الاجابات التى شغلتهم أسئلتها ، فتستقر المعرفة فى ذاكرتهم . قال أبو هريرة :

« كان النبى صلى الله عليه وسلم بارزا يوما للناس فأتاه جبريل فقال :

ما الايمان ؟ قال الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث . قال صدقت — قال : ما الاسلام ؟ قال الاسلام أن تعبد

(١) صحيح البخارى : الجزء الأول .

الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان. قال صدقت .

قال : ما الاحسان ؟ قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك . قال صدقت .

قال : متى الساعة ؟ قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل . وسأخبرك عن أشراطها . ثم أدبر . فقال (النبى) ردوه على . فلم يروا شيئا .

فقال : هذا جبريل ، جاء يعلم الناس دينهم » (١) .

ومن هذا الوحى وأمثاله علم الرسول المؤمنين تفاصيل الدين وبين لهم حدود الشريعة ، وضرب لهم المثل فى القول والفعل ، واستن بذلك سننا وجب على المسلمين اتباعها والسير على هداها .

وعلى ضوء ذلك نستطيع أن نفهم قول الله :

« وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله » .
(الحشر : ٧)

*

ويستطيع الانسان ان يجمع ما يمكن جمعه من الأسفار والكتب المقدسة ثم ينظر فيها جميعا ، فلن يجد كتابا مثل « القرآن » يعلم قارئيه ويقنعهم بمختلف الأدلة والبراهين — انه كلام الله الذى نزل على رسوله وحيا ، وهو آيات الله البينات التى تلاها النبى العربى على مسامع العالمين :

« انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان ، وآتينا داود زبورا . ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك ، وكلم الله موسى تكليما . رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وكان الله عزيزا حكيما . لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون ، وكفى بالله شهيدا » . (النساء : ١٦٣ — ١٦٦)

« قال انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد ،

---

(١) صحيح البخارى ومسلم — الجزء الأول .

فمن كان يرجو لقـاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا »
(الكهف : ١١٠)

« كذلك أرسلناك فى أمـة قد خلت من قبلها أمم لتتلوا عليهم الذى أوحينا اليك ، وهم يكفرون بالرحمن ، قل هو ربى لا اله الا هو عليه توكلت واليـه متاب » . (الرعد : ٣٠)

« قل انمـا أنذركم بالوحى ، ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون»
(الأنبيـاء : ٤٥)

« قل الله شهيد بينى وبينكم ، وأوحى الى هـذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ، أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهـة أخرى ، قل لا أشهد ، قل انما هو اله واحـد واننى برىء مما تشركون » . (الأنعـام : ١٩)

وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ، فقد جاءوا ظلمـا وزورا . وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليـه بكرة وأصيلا . قل أنزله الذى يعلم السر فى السـموات والأرض ، انه كان غفورا رحيما » . (الفـرقان : ١ ــ ٦)

❋ ❋

ولابد لمن يدرس موضـوع « الوحى فى القـرآن » ان يقف طويلا امام عدد من الآيات المحكمات يتدبرهن ، ويفكر مخلصا مع نفسه فيما تنطق به ، ولسوف يخـرج من ذلك بنتائج محـددة تبصره تماما بحقيقة الوحى فى القـرآن .

وتتصدر هـذه الآيات ، تلك الدعوة الالهية الصريحة الى النـاس أن يتدبروا القـرآن ويعوا آياته ، وعنـدئذ سيعلمون أنه قول « الحق » الذى لا جهالة فيه ولا اضطراب ولا تناقض ، وأنه مبرأ عن كل ما ينسب لقـول البشر من قصور واختلاف :

« أفلا يتدبرون القـرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجـدوا فيـه اختـلافا كثـيرا » . (النساء : ٨٢)

« يا أيهـا النـاس اعبـدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون .. وأن كنتم فى ريب مما نزلنـا على عبدنا فأتوا بسـورة من مثله

وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النـار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » .
(البقرة : ٢١ ، ٢٣ — ٢٤)

ومن الواضح ان هـذا التحـدى القرآنى لا يقتصر على من كذب بالقـرآن من الأعراب الذين عاصروا نزوله ، وحاولوا اللغو فيه والالحـاد فى آياته ، انمـا هو تحد يلقـاه كل من يكفر بالقرآن منذ تنزلت آياته الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولقد أوجز القـرآن موضوع التحدى هـذا فى كلمـات قليـلة حين قال :

« قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هـذا القرآن ، لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » . (الاسراء : ٨٨)

ولا يستطيع عاقل يعلم اقل القليـل من سيرة الرسول وتواضعه وخلقـه ، او حتى لا يعلم شيئا من ذلك ، ثم يغفـل عمايذكره القـرآن عن الكذابين من مدعى النبوة والرسالة الذين افتروا على الله الكذب ، فزعموا ان وحى الحق تنزل اليهم — فقد جعـل القـرآن هؤلاء بحق اظلم الظالمين :

« ومن اظـلم ممن افترى على الله كذبا ، او قال أوحى الى ولم يوح اليـه شىء ، ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله ، ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم اخرجوا انفسكم ، اليـوم تجـزون عذاب الهـون بما كنتم تقـولون على الله غير الحـق وكنتم عن آياته تستكبرون .

ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ، وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء ، لقـد تقطع بينكم وضـل عنكم ما كنتم تزعمون » . (الأنعام : ٩٣—٩٤)

« فمن اظلم ممن افترى على كـذبا او كذب بآياته ، أولئـك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنـا يتوفونهم قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله ، قالوا ضلوا عنا وشـهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين .

قال ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النـار ،

كلمــا دخلت أمــة لعنت أختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنــا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار ، قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون » . (الأعراف : ٣٧ — ٣٨)

« ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ، أولئــك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ، الا لعنــة الله على الظالمين ..

أولئك الذين خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون . لا جــرم أنهم فى الآخرة هم الأخسرون » . (هود : ١٨ ، ٢١ — ٢٢)

« ولو أن لكل نفس ظلمت ما فى الأرض لافتدت به ، وأسروا الندامة لمــا رءوا العــــذاب وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون » .
(يونس : ٥٤)

وما كان الانسان ليصــل بظلمــه غاية مداه فيفترى على الله الكذب ويقول حسبما أملاه عليه هواه ثم يترك مسترسلا فى ضلالاته دون عقــاب يصيبه فى الدنيا قبــل الآخرة .

ونعلم من القــرآن أن محمدا لو تقــــول على الله شــيئا من عنده ، لجاءه القتــل عقابا سريعا لا راد له من الله :

« ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخــذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين » . (الحاقة : ٤٤—٤٧)

ونجد توراة موسى تذكر ان الموت العــاجل لابد وان يباغت كل من يدعى كذبا انه نبى لله يتلقى وحيه ويتكلم زورا باســمه .

« أما النبى الذى يطغى فيتكلم باســـمى كلاما لم أوصــه أن يتكلم به أو الذى يتكلم باسم آلهــة أخرى ، فيموت ذلك النبى — تثنية ١٨ : ٢٠ » .

وواضح ان الموت هنــا يقصــد به القتل او الموت العاجل الذى ينهى حياة مدعى الرسالة ، ولا يمكن ان يعنى ذلك الموت الطبيعى الذى ينتظره كل النـــاس .

فعندما يقول الله عن مخلوق أنه « يموت » فان هــذا يعنى أنه يقتطع من الأرض بأحد الوسائل التى تعجل بنهايته مثل القتل أو الغرق ونحوه ، لأنها جميعا وسائل تفضى الى الموت العاجل .

ونعلم ذلك من شواهد كثيرة منها أنه عندما أراد الله هلاك قوم نوح قال له :

« نهاية كل بشر قد أتت أمامى لأن الأرض قد امتلأت ظلمـا منهم . فها أنا مهلكهم مع الأرض .. ها أنا آت بطوفان المـاء على الأرض لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء كل ما فى الأرض يموت ..

وكان الطوفان أربعين يوما على الأرض .. فمات كل ذى جسد كان يدب على الأرض .. كل ما فى أنفـه نسمة روح حيـاة كمن كل ما فى اليابسة مات ـ تكوين ٦ : ١٣ ، ١٧ / ٧ : ١٧ ، ٢١ ، ٢٢ » .

ومن الواضح ان الموت هنا تم عن طريق الغرق الذى لا يعتبر موتا طبيعيا ، كذلك يعنى الموت احداث الوفاة عن طريق المرض أو القتل ، كما يتبين ذلك من قصة أبيمالك الذى حاول اغتصاب سارة زوجة ابراهيم :

« وقال ابراهيم عن سارة امرأته هى اختى . فأرسـل أبيمالك ملك جرار واخذ سارة فجاء الله الى ابيمالك فى حلم الليل وقال له ها أنت ميت من اجل المرأة التى اخذتها فانها متزوجة ببعل .. فقال يا سيد أمة بارة تقتـل . ألم يقل هو لى أنها أختى ..

فقال له الله فى الحلم .. الآن رد امرأة الرجل فانه نبى فيصلى لأجلك فتحيا . وان كنت لست تردها فأعلم انك موتا تموت وأنت وكل من لك ـ تكوين ٢٠ : ٢ ـ ٧ » .

وتؤكد أسفار موسى نفس المعنى للموت ، كما ورد فى حكم من يحاول قتل صاحبه :

« اذا بغى انسان على صاحبه ليقتله بغـدر فمن عند مذبحى تأخذه للموت ـ خروج ٢١ : ١٤ » .

فالمقصود بالموت هنا هو القتل ..

ويتبين مما جاء ذكره فى كل من الكتاب المقدس والقرآن ان احـدى العلامات التى يعرف بها مدعى النبوة الذى يكذب على الله ، هو أن يقتلع من الأرض قبل أن يتم دعوته ويكون ذلك بالموت قتلا أو نحوه . ولا يمكن أن يعنى هذا أن كل من عجل بنهايته ومات قتيلا من الأنبياء بأنه قد كذب على الله ، ولكن العكس فى رايى ـ هو الصحيح وهو أن كل من كذب على الله فقد اقتلع من الأرض قبل الأوان .

ومن ناحية اخرى فاننا نجد فى الكتاب المقدس علامة اخرى هامة يعرف بها النبى الصادق صاحب رسالة الحق الى العالمين ، وهى أن الله يمسك بيده ويحفظه من كل شر حتى يتمم رسالته ويخرج من أرسل اليهم من الظلمات الى النــور :

« هكذا يقول الله الرب خالق الســموات وناشرها ، باسط الأرض ونتائجها معطى الشعب نسمة الساكنين فيها روحا .

انا الرب قد دعوتك بالبر فامسك بيدك واحفظك واجعلك عهــدا للشعب ونورا للأمم ، لتفتح عيــون العمى لتخرج من الحبس المـأسورين ، من بيت السجن الجالسين فى الظلمــة ـ اشعياء ٤٢ : ٥ ـ ٧ » .

ويقول الله لرسوله فى القرآن :

« يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فمــا بلغت رسالته ، **والله يعصمك من الناس** » . (المـائدة : ٦٧)

فهذا وعد صريح للرســول بأنه لن يوجد من يعجل بالقضاء عليه من الناس . وقد أنبأت آيات القرآن بالنصر المؤكد للرسول ودعوته فى الدنيا والآخرة . وما على الذين رفضوا قبول تلك النبوة حجودا ومكابرة الا أن يفعلوا بأنفسهم ما يشاءون من شنق وغيره ، لعل فى ذلك ما يطفىء غيظ القــلوب المكابرة :

« **من كان يظن ان لن ينصره الله فى الدنيا والآخــرة** ، فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر ، هل يذهبن كيده ما يغيظ » .
(الحج : ١٥)

« يريدون أن يطفئــوا نور الله بأفواههم **ويابى الله الا ان يتم نوره** ولو كــره الكافرون . هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظره على الدين كلــه ولو كره المشركون » . (التوبة : ٣٢ ـ ٣٣)

واستمرت آيات الله تنزل على الرســول حتى اكتملت دعوته وبلغ الأمر غايته ، ونزل قول الله :

« اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينــا » . (المــائدة : ٣)

من كل ما سبق نستطيع القول بان ادعاء النبوة والقول زورا بتلقى الوحى من الله انمـا هو امر خطير ، تعجل عقوبته فى الدنيا قبل الآخرة ، فيقطع ذلك المدعى من الأرض قبل أن يتمم دعوته .

* *

وخلاصة القول فى موضوع الوحى ان وسائله كثيرة وطرقه متنوعة ، تشابهت جميعها فى اليهودية والمسيحية والاسلام .

ولا يصح لأحد ان يؤمن بها هنـا وينكرها هناك ، او يسلم بصدقهـا فى كتاب مقدس ثم يجحد امرها فى كتاب سماوى آخر .

فلم يكن الوحى الى النبى محمد خروجا عن المـألوف الذى تعرض له الأنبياء السابقون فى هـــذا المجـــال ، ولا محـل ـ اذن ـ للتعجب او الاستنكار . وانمـا العجب حقـا يتمثـل فى موقف الجاحدين للوحى المحمـدى من الكفار أيام الرسول وممن لا يزال على كفره بالنبى ورسالته من اشياعهم حتى اليوم . وهنـا يستنكر « الحق » موقف هؤلاء وهؤلاء الذين جهلوا حالات الوحى وتاريخ النبوات أو تجاهلوها عن عمد فيقول :

« الـر تلك آيات الكتـاب الحكيم . أكان للنـاس عجبا أن أوحينا الى رجل منهن أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم، قال الكافرون ان هـــذا لساحر مبين » . (يونس : ١ ـ ٢)

والحق أن الوحى المحمـدى استمرار للوحى الى الأنبياء السابقين ، لا عجب فى حالاته ولا غرابة فى وسائله وكيفياته . وصدق الله اذ يقـول لنبيـه :

« انا أوحينا اليـك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده » .

ان الوحى تجارب خاصة وحالات غير عادية تعـرض لهـا رجال الله المصطفون الأخيـار ، واحتملوا شدتها وباسـها ، وبلغوا للنـاس ما امروا بتبليغه اليهم ، فكان هديا ونورا للعـالمين .

* * *

الفصل الثالث

الجن

الجن

يتفق بعض المؤمنين على الايمـان بالجن ، وقدراته الخارقة ، بينما اهتز ذلك الايمان ـ ان لم يكن قد انتهى تمـاما ـ عنـد اغلب المؤمنين ، فصاروا يعتبرون الكلام عن الجن وامكانية وجوده وتأثيراته فى عالمنـا المحسوس كأنهـا ضرب من الأساطير القديمـة والشـعوذة التى لا يقبلها العقل المتقـدم لانسان القرن العشرين .

ومنذ فجر التاريخ حتى يومنا هـذا نجد أن الانسان قد تعامل مع الجن ، واتصـل به وحاول استغلال قدراته الهـائلة فى تحقيق رغباته ، واستطلاع الغيب ، واحداث الظواهر العجيبة التى هى خوارق لمـا اعتاد عليه النـاس ، فتصيبهم بالدهشة والحيرة وتستولى على عقولهم .

ذلك هو السحر الذى يعد من أقدم علوم البشرية وتجاربها مع عوالم المخلوقات الأخرى الخفية .

ولسوف نبحث موضوع الجن من خلال ما تذكره الكتب المقدسة .

* *

الجن فى العهـد القديم

١ ـ استعمل فرعون سحرته وعرافيه لياتوا بسحر واعاجيب تقف امام الأعاجيب التى اجراها الله على يد موسى واخيه هارون ، حتى يثبت لشعبه ولبنى اسرائيل قدرته وتفوقه . فحين حـول موسى عصاه ثعبانا « فعل عرافوا مصر ايضا بسحرهم كذلك . طرحوا كل واحد عصاه فصارت العصى ثعابين ـ خروج ٧ : ١١ ـ ١٢ » .

وحين حـول موسى وهارون ماء النهر الى دم « فعـل عرافوا مصر كذلك بسحرهم فاشـتد قلب فرعون فلم يسـمع لهما كما تكلم الرب ـ خروج ٧ : ٢٢ » .

وحين ملأ موسى وهارون الأرض بالضفادع « فعـل كذلك العرافون بسحرهم واصعدوا ، الضفادع على أرض مصر ـ خروج ٨ : ٧ » .

٢ ـ من اجل ذلك حذرت شريعة موسى من التعامل مع الجن تلك الأرواح الخفية التى غالبا ما تضل المؤمنين :

« لا تلفتوا الى الجان ولا تطلبـــوا التوابع فتتنجسوا بهم — لاويين ١٩ : ٣١ » .

ولقد فرضت التوراة اقصى العقوبات على النفس البشرية التى يمتلك الجـان فيها حظا سواء كان ذلك طوعا بارادتها ، او كرها أجبرت عليـه بتسلط الجان على تلك النفس . ولقد بلغت العقوبة حد القتل رجما :

« النفس التى تلتفت الى الجان والى التوابع لتزنى ورائهم أجعـل وجهى ضد تلك النفس واقطعها من شعبها ..

اذا كان فى رجـــل او امرأة جان او تابعـة فانه يقتـل بالحجارة ، يرجمونه ، دمه عليه — لاويين ٢٠ : ٦ ، ٢٧ » .

٣ — ولقد ذهب عن شاول — اول ملك فى بنى اسرائيـل — الروح الملائكى الكريم الذى اكرمه الله به ، وحل عليه روح شيطانى شرير عقابا له على عصيانه أوامر الله . وكانت روح الشر تخف حدتها ويهـدأ ما تثيره من اضطراب فى نفس شاول حين تستمع الى الضرب بالعود الذى تميز به داود نبى الله وملك اسرائيـل فيما بعد :

« وذهب روح الرب من عند شاول وبغتـه روح ردىء من قبـــل الرب ، فقال عبيـد شاول له هـــذا روح ردىء من قبـل الله يبغتك . فليأمر سيدنا عبيده قدامه أن يفتشوا على رجل يحسن الضرب بالعود ..

فجاء داود الى شاول ووقف أمامه .. وكان عندما جاء الروح من الله على شاول أن داود أخذ العود وضرب بيـده فكان يرتاح شاول ويطيب ويذهب عنه الروح الردىء — صموئيل الأول ١٦ : ١٤ — ٢٣ » .

*

وتروى الأسفار حكاية غريبة كل الغرابة عن تاثير الجان وتابعيه من الانس ، وتسلطهم على ارواح المـوتى بمـا فى ذلك الانبيـــاء ، فقد حدث « فى تلك الأيام أن الفلسطينيين جمعوا جيوشهم لكى يحاربوا اسرائيل » . وكان صموئيل النبى قد مات ، ولم يجـد شاول من يستشيره فى الأمر ، ويسأل الله له النصر . وعنـــدئذ ذهب شاول ليبحث عن أحد السحرة أو العرافين لعـل أحدا منهم يقـدم له العون ، رغم أنه كان فى أيام صلاحه مع الله قد « نفى أصحاب الجان والتوابع من الأرض » . ولقد « سـأل شاول من الرب فلم يجبه الرب لا بالأحلام ولا بالأوريم ولا بالأنبيـــاء . فقال شاول لعبيده فتشوا لى على امرأة صاحبة جان فأذهب اليها وأسألها فقال له عبيـــده هوذا امرأة صاحبة جان فى عـين دور . فتنكر شاول

وذهب الى المرأة ليـلا وقال أعرق لى بالجان واصعدى لى من أقول لك .. فقالت المرأة من أصعد لك فقال اصعدى لى صموئيل : فلما رأت المرأة صموئيل صرخت بصوت عظيم .. فقال لها الملك لا تخافى . فماذا رأيت . فقالت المرأة لشاول رأيت آلهة يصعدون من الأرض . فقال لهـا ما هى صورته فقالت رجل شيخ صاعد وهو مغطى بجبة . فعلم شاول أنه صموئيل فخر على وجهه الى الأرض وسجد . فقال صموئيل لشاول لماذا أقلقتنى باصعادك اياى . فقال شاول قد ضاق بى الأمر جـدا . الفلسطينيون يحاربوننى والرب فارقنى ولم يعد يجيبنى لا بالأنبياء ولا بالأحلام فدعوتك لكى تعلمنى ماذا أصنع . فقال صموئيل ولماذا تسألنى والرب قد فارقك وصار عدوك . وشق المملكة من يديك وأعطاها لقريبك داود .. ويدفع الرب اسرائيل أيضا معك ليد الفلسطينيين وغدا أنت وبنوك تكونون معى ويدفع الرب جيش اسرائيل أيضا ليد الفلسطينيين . فأسرع شاول وسقط على طواله الى الأرض وخاف جدا من كلام صموئيل ـ صموئيل الأول ٢٨ : ١ ـ ٢٠ » .

ان هـذه القصة تطرح كثيرا من التساؤلات فيما يتعلق بمصير الانسان بعد الموت ، وهى تصدم ولا شك الملايين من اصحاب العقائد غير اليهودية، وخاصة اذا علمنا من أسفار موسى وغيره ، أن الهاوية مكان مفزع ، ودار عذاب فى باطن الأرض .

فقد قال موسى عن قوم أخطأوا الى الله : « ان ابتدع الرب بدعة وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم وكل ما لهم فهبطوا أحياء الى الهاوية تعلمون أن هؤلاء القوم قد ازدروا بالرب . فلما فرغ من التكلم بكل هـذا الكلام انشقت الأرض التى تحتهم . وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم وبيوتهم وكل ما كان لقورح من كل الأموال . فنزلوا هم وكل ما كان لهم أحياء الى الهاوية وانطبقت عليهم الأرض فبادوا من بين الجماعة ـ عدد ١٦ : ٣٠ ـ ٣٣ » .

وقال داود لابنه سليمان فى وصيته الأخيرة : « انت أيضا تعلم ما فعل بى يوآب ابن صرويه فافعل حسب حكمتك ولا تدع شيبته تنحدر بسلام الى الهاوية .

هوذا معك شمعى بن جيرا البنيامينى وهو لعننى لعنة شديدة .. فلا تبرره لانك انت رجل حكيم فاعلم ما تفعل به واحدر شيبته بالدم الى الهاوية ـ الملوك الأول ٢ : ٥ ـ ٩ » .

فمن ذلك يتبين ان الايمان بالجن ووجوده وتاثيره فى الانسان يمثل احدى العقائد التى تقوم عليها أسفار العهد القديم .

* * *

الجن فى العهد الجديد

يذكر الانجيل ان المسيح اخرج شياطين — وهى ارواح شريرة من الجن — من جسد بعض المجانين . وقد حلت تلك الشياطين فى جسد قطيع من الخنازير فأغرقته فى البحر :

« ولما جاء الى العبر .. استقبله مجنونان خارجان من القبور وكان بعيدا منهم قطيع خنازير كثيرة ترعى . **فالشياطين** طلبوا اليه قائلين ان كنت تخرجنا فأذن لنا أن نذهب الى قطيع الخنازير فقال لهم امضوا فخرجوا ومضوا الى قطيع الخنازير واذا قطيع الخنازير كله قد اندفع من على الجرف الى البحر ومات فى المياه — متى ٨ : ٢٨ — ٣٢ » .

« وشفى كثيرين كانوا مرضى بأمراض مختلفة **واخرج شياطين كثيرة** — مرقس ١ : ٣٤ » .

« ولما صار المساء قدموا اليه مجانين كثيرين **فاخرج الأرواح** بكلمة وجميع المرضى شفاهم — متى ٨ : ١٦ » .

« **وكان يخرج شيطانا وكان ذلك اخرس .** فلما اخرج الشيطان تكلم الأخرس . فتعجب الجموع . وأما قوم منهم فقالوا ببعلزبول رئيس الشياطين يخرج الشياطين — لوقا ١١ : ١٤ — ١٥ » .

*

وتكون العرافة ومحاولة التنبؤ بالغيب التى تثير عجب الناس — هى احدى مظاهر تعامل الجن مع الانسان :

« حدث بينما كنا ذاهبين الى الصلاة ان **جارية بها روح عرافة** استقبلتنا وكانت تكسب مواليها مكسبا كثيرا بعرافتها . هذه اتبعت بولس واياانا وصرخت قائلة هؤلاء الناس هم عبيدالله العلى الذين ينادون لكم بطريق الخلاص .. فضجر بولس والتفت الى الروح وقال انا آمرك باسم يسوع المسيح أن تخرج منها . فخرج منها . فخرج فى تلك الساعة — أعمال الرسل ١٦ : ١٦ — ١٨ » .

ويحاول ابليس — كبير الشياطين — ان يدخل فى صراعات ومجادلات مع كل الخلق بغيـة الفتنة والاضلال حتى مع الملائكة :

« أما ميخائيل رئيس الملائكة فلمـا خاصم ابليس محاجا عن جسـد موسى لم يجسر أن يورد حكم افتراء بل قال لينتهرك الرب — رسـالة يهـوذا : ٩ » .

« من يفعـل الخطيـة فهو من ابليس لأن ابليس من البدء يخطىء — (١) رسالة يوحنا ٣ : ٨ » .

❋

مما سبق يتضح ان اسفار العهد الجديد تعترف بالجن وقدراته ، بل وتعتبره سببا لكثير من الأمراض الصعبة التى تصيب الانسان مثل : الجنون والخرس . ولما كان الانسان ميـالا بطبعه الى استطلاع الغيب ومعرفة احداثه قبل وقوعها فانه يصاب بالدهشة ويقف عقله جامدا امام القدرات الخارقة التى تظهر فى هـذا المجال من العـرافين والمتنبئين ، وذلك حين يعجز عن تفسير هـذه الظواهر التى تعتبر على اساس ما سبق بيـانه نوعا من الالقـاء او الوحى من الجن الى الانسان .

❋ ❋ ❋

الجن فى القـرآن الكريم

خلق الله الانسان الأول — آدم — من مادة التراب ثم نفـخ فيـه الخلاق العظيم من روحه فدبت فيه الحياة بكل معانيها .

ومن قبـل خلق الله الجن من طبيعة اخرى غير الطبيعة الانسانية . فلقد خلقت الجن من طبيعة طاقيـة ذات صبغة حرارية عالية الدرجة ، كتلك التى نحسها من النار المتأججة شديدة النفاذية :

« ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمـأ مسنون . والجـان خلقنـاه من قبل من نار السموم » . (الحجر : ٢٦ — ٢٧)

وللجن اهتزازه الخاص به ، وتلك خاصية من خواص الطـاقة التى نعرفها اليـوم فى صـورها المختلفة من حرارة ، وضـوء ، وكهـرباء ، ومغناطيسية .. الخ .

فلكل من هذه الطاقات اهتزازه ، أو ذبذبة تتحدد بها .

فعندما تلقى موسى الرسالة ، أمره الله أن يلقى عصاه ، واذا بها تتحول الى حية تهتز يمنة ويسرة كأنها جان ، الأمر الذي أفزع موسى :

« وأن الق عصاك ، فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب ، يا موسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين » . (القصص : ٣١)

ولقد كان ابليس واحدا من الجن ثم تقرب الى الله بالعبادة وانقطع لها . لكنه فتن بعد خلق آدم حين داخله الكبر والغرور فعصى الله وكفر وتحول الى شيطان :

« واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه » . (الكهف : ٥٠)

ويقصر بصر الانسان عن مشاهدة الجن فى صورته الطاقية وما ذلك الا لأن ذبذبة طاقته عالية جدا الى الدرجة التى تخرجها عن نطاق ذبذبة الضوء التى يحسها الانسان :

« يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ، ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما ، انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم »
(الأعراف : ٢٧)

والجن عالم اقل ما يوصف به انه مماثل لعالم الانسان بما فيه من حياة وموت ، وعلم وعمل ، وايمان وكفر . وللجن رسالات وفيه مرسلون .

« واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا أنصتوا ، فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين . قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه ، يهدى الى الحق والى طريق مستقيم . يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم » . (الأحقاف : ٢٠ — ٣١)

وتقول الجن :

« وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك ، كنا طرائق قددا » .
(الجن : ١١)

ويقول الله للجن والانس يوم القيامة :

« يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين » . (الأنعام : ١٣٠)

ولقد اتصل الانس بالجن ، وسخر كل منهم الآخر لمصالحه ومتعه الخاصة ، وظهر السحرة من بنى الانسان يفسدون فى الأرض ويفتنون الناس عن دين الله . ولقد توعد الله أمثال هؤلاء من الانس والجن بالعذاب المهين يوم القيامة :

« وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا » (الجن : ٦)

« ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا ، قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ، ان ربك حكيم عليم » . (الأنعام : ١٢٨)

ومن الجن من تسلط على نفر من الانس ، وصار يوحى اليهم سيء الاقوال وفواحش الأفعال فحول الانسان بذلك الى شيطان يضل الناس عن طريق الحق :

« ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ، وانه لفسق ، وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم ، وان أطعمتوهم انكم لمشركون » . (الأنعام : ١٢١)

ومن الانس شياطين تناظر — ان لم تتفوق فى شرورها على — شياطين الجن وخاصة فى مجال الفتنة وبلبلة الخواطر . وذلك حين :

« يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا » . (الأنعام : ١١٢)

ومن الجن من يعمل قرينا للانسان يلازمه طول حياته ويعلم دخائل نفسه . وهو الذي يوسوس للانسان بمختلف الوساوس والشكوك ويزين له طريق الشر .. ثم يوم القيامة يختصم الانسان مع قرينه امام الله ، ويلقى كل منهما اللوم على صاحبه :

« وقال قرينه ربنـــا ما اطغيته ولكن كان فى ضـــلال بعيد . قال لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيـــد . ما يبـــدل القـــول لدى وما أنا بظـلام للعبيد » . (ق : ٢٧ — ٢٩)

وحتى اذا ما انتهى الأمر يوم القيـامة وانصرف كل لينال جزاءه ، فان ذلك القـرين الشيطانى سـوف يظـل يلقى اللوم على صاحبـه من بنى الانسان ويتهمه بالضعف والاستجابة لاغرائه ثم يتبرأ من فعله :

« وقال الشيطان لمـا قضى الأمر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليـكم من سلطان الا أن دعوتكم فاسـتجبتم لى ، فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ، ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى ، انى كفرت بما أشتركتمون من قبل ، أن الظالمين لهم عذاب أليم » . (ابراهيم:٢٢)

ومن الانسان من يستطيع التغلب على وساوس قرينه فينجو بنفسه من عذاب يوم القيامة ، بينما يهلك ذلك القرين فى العذاب المهين :

« فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون . قال قائل منهم انى كان لى قرين يقول أانك لمن المصدقين . أاذا متنا وكنا ترابا وعظاما أانا لمدينون .

قال هل أنتم مطلعون . فاطلع فرآه فى سواء الجحيم . قال تالله ان كدت لتردين . ولولا نعمـة ربى لكنت من المحضرين » .

(الصافات : ٥٠ — ٥٧)

من اجل ذلك كان جهاد النفس ومحاولة التغلب على وساوس القرين واغراءاته المستمرة من اشـق انواع الجهـاد . وقد عرف لذلك باسـم الجهاد الأكبر .

وانا لنجد فى حقيقة القرين هذه التفسير المقبـول لظاهرة تحضـير الارواح .

ولا تكون الروح التى يحس بها شهود الجلسة — وهى تحكى بالكلام أو الكتـابة أو غيره تاريخا من المـاضى ، أو تبـدى رأيا فى الحـاضر ، أو استطلاعا للمستقبل — لا يكون ذلك كلـه سوى قرين الجن لذلك الميت الذى اقترن اسـمه بتلك التجربة .

ولقد كانت الجن تحاول استراق السـمع ، ومعـرفة ما يدور فى السماوات العلى ثم تلقى بما يتراءى لها من تلك المعرفة — زيادة اونقصانا ، صدقا كلـه أو خالطه الكذب — الى اقرانهم من بنى الانسان الذين تحدثوا

عندئذ فى الغيبيات ، وما كان ينتظر العالم من احداث ، فصدقوا قليـــلا وكذبوا كثيرا .

« هل أنبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل أفاك أثيم . يلقون السمع وأكثرهم كاذبون » . (الشعراء : ٢٢١ — ٢٢٣)

لكن الجن بدأت تعانى المتاعب فى محاولاتها استراق السمع منـــذ بدأ نزول القــرآن . وفى هــذا قالت الجن :

« وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشـهبا . وأنا كنـا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا . وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشــدا » .
(الجن : ٨ — ١٠)

« لا يسمعون الى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب . دحورا ولهم عذاب واصب . الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب » .
(الصافات ٨ — ١٠)

وللجن علوم ومحاولات لغزو الفضاء واستطلاع للمجهول ، تناظر على الاقل — ان لم تتفوق على محاولات الانسان فى هــذا المجال :

« يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا ، لا تنفذون الا بسلطان » . (الرحمن : ٣٣)

وفى مواضع كثيرة من القرآن الكريم نجد « السلطان » مرادفا للعلم المعجز الذى استقرت أسسه ، وظهرت حقائقه ، وبان خطره للناس :

« أم لكم سلطان مبين . فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين » .
(الصافات : ١٥٦ — ١٥٧)

كذلك اعترفت الجن بعجـــزها عن الهــروب وتخطى قيــود المكان والأبعــــاد :

« وأنا ظننا أن لن نعجز الله فى الأرض ولن نعجزه هربا » .
(الجن : ١٢)

ومن رحمة الله بالانسان ان سخر له ارواحا من الملائكة تحفظه من اذى الارواح الشريرة من الجن وغيره . ولولا ذلك لتسلطت تلك الأرواح الخبيثة على كل البشر ، وعطلت الحياة على الأرض محاولة توجيهها لغير ما خلقه الله :

« وهو القاهر فوق عباده ، ويرسل عليكم حفظة ، حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون » . (الأنعام : ٦١)

« ان عليكم لحافظين . كراما كاتبين . يعلمون ما تفعلون » .
(الانفطار : ١٠ — ١٢)

ومن رحمة الله التى وسعت كل شيء ان اوكل تلك الحفظة بالناس اجمعين سواء كانوا مؤمنين او كافرين :

« ان كل نفس لما عليها حافظ » . (الطارق : ٤)

ولا يزال الانسان فى حفظ من تلك الأرواح الشريرة الا أن يشاء الله به شيئا آخر ، وعندئذ يمسه السوء وتصيبه تلك الأرواح بالأذى تماما كما يصيبه الأذى المادى الذى يلقاه من المخلوقات التى يعرفها ويحس مادتها مثل الانسان والحيوان وغيره :

« قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله » .
(الأعراف : ١٨٨)

*

وخلاصة القول فى موضوع الجن ان المؤمنين مطالبون — حسبما تبينه الكتب المقدسة — بالايمان بوجود الجن وقدراته وتأثيره فى الانسان .

* * *

الخلاصة

لقد اجمعت الأديان الثلاثة : وهى اليهودية والمسيحية والاسلام على ان الملائكة مخلوقات علوية تستطيع الظهور فى هيئة بشرية متمثلة اشباها من الرجال ، كما يستطيع بعض الصالحين من البشر مشاهدتها فى طبيعتها النــــورانية .

وللملائكة علاقة وطيدة بالانسان فى شـــتى مراحل حياته ، كما انهم قرناؤه ، رقباء على أفعاله له حافظين كراما كاتبين ، يعلمون كل أفعـاله ومختلف نشاطاته .

وللملائكة علوم ، وعليهم تكاليف ، ولهم مشاعر واحاسيس ، ويملكون ارادة وتدبيرا . والقد كان أبرز أفعالهم هو التعامل مع عبيد الله المختـارين من الأنبياء والصالحين وتعهدهم بالتعليم والهـداية والرعاية .

*

كذلك اتفقت الديانات الثـلاث على ان الوحى تعليم الهى خاص ، وانه المصدر الرئيسى الذى تعلم منه الانسان حقيقة الايمان .

وللوحى طـــرق مختلفة ووسائل متنـوعة منها : الرؤيا المنامية ، والتعليم المباشر من الملائكة فى صـــورتها البشرية ، والتعليم بصـوت من الملائكة فى طبيعتها النورانية ، وتعليم الملائكة فى خفاء ، والكلام « من وراء حجاب » وحلول الروح على العبـد الصالح فيرســل لسانه ما اسـتقبلته احاسيسه ، ثم النفث فى روع العبد الصالح فيفيض الحق على لســانه بما وعاه وجـدانه .

والوحى تجربة شخصية ارتبطت اولا واخيرا بمن تعرض لهـا ، وهى قد فرضت فرضـا من السـماء ولم تات قط بمشـــيئة انســـان ، ولذلك اقتضت رحمة الله بخلقه أن يختار الذين اختصهم بوحيه ـ من عبيده الأنبياء والمرسلين ـ من صـفوة خلقه الذين اشتهروا بين النـــاس برجاحة العقل وحسن الخلق وطيب المنظر والمخبر والسمو عن كل صغار . ولمـا كان الشيء الذى يهم البشرية هو نتـاج الوحى ، فمـن ثم وجب أن يوضع هـذا النتاج موضع التدبر والتمحيص ، حتى يميز الناس الخبيث

من الطيب ، فيقبلون المنهج الذى يشكل حياتهم الدنيوية ويحدد مصيرهم الأبدى عن قناعة وايمـان .

*

ولقد درجنا خلال هـذا الكتاب على التقديم بشىء يسير من القول يعين على فهم نصـوص الكتب المقدسة التى نعـرض لهـا . والشىء المؤكد الآن هو أن ما عرضناه فى فصلى الملائكة والوحى يعتبر تقديما يعيننا على استيعاب آية واحدة من القرآن الكريم نزلت تعليما الهيا من الله ــ سبحانه ــ الى رسوله محمد خاتم النبيين ، آية تقول :

« قل ما كنت بدعا من الرسـل ، وما ادرى ما يفعـل بى ولا بكم ، ان اتبـع الا ما يوحى الى ، وما انا الا نذير مبين » (١) .

وما علينا بعد ذلك الا ان نقول وكلنـا ايمـان ويقـين : صدق الله العظيم .

*

هـذا ــ ولمـا كانت هناك مخلوقات خفية تستطيع التداخل فى حياة الانسان ، كان لزاما أن نذكر شيئا عن **الجن ، تلك المخلوقات التى اجمعت الديانات الثلاث على حقيقة وجودها وبينت الكثير من خصائصها وامكاناتها التى تتعدى ــ فى مجالات المقارنة ــ قدرات الانسان .**

ويكفى ان نذكر للذين تستهويهم الخوارق والالاعيب ما يقوله الانجيل على لسـان المسيح :

« رايت الشيطان ساقطا مثل البرق من السماء ــ لوقا ١٠ : ١٨ » .

وهو ما ذكرته الرسالة الثانية الى أهل كورنثوس :

« ان الشيطان نفسه يغير شكله الى شبه ملاك نور ــ ١١ : ١٤ » .

*

هـذا ــ وبعد ان عرضنا ركيزتين من ركائز الايمـان همـا : الملائكة والوحى ورأينا كيف تآلفت فيهما اليهودية والمسيحية والاسـلام ، فان ما ينتظرنا هو عرض الركيزة الثالثة التى تجمع هـذا وذاك ثم تزيد عليـه بمـا يحقق امن الانسان وسـعادته فى الدنيـا والآخرة ــ الا وهى النبوة والأنبياء ــ والذى ارجو أن تكون هى الجزء الثانى من هذه السلسلة .

* * *

---

(١) سورة الأحقاف : ٩ .

قائمة المراجع الرئيسية

١ ـ صحيح البخارى .

٢ ـ تفسير ابن كثير .

٣ ـ لسان العرب ـ طبعة بيروت ـ ١٩٥٦ .

٤ ـ الطبقات الكبرى ـ طبعة بيروت ـ ١٩٦٠ .

٥ ـ تاج العروس ـ طبعة بيروت ـ ١٩٦٦ .

٦ ـ الوحى الى الرسول محمد : عبد اللطيف السبكى ـ مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ـ القاهرة .

❋

7— ENCYCLOPEDIA AMERICANA, 1959

8— ENCYCLOPAEDIA BRITANNICA, 1960

9— C. H. Dodd : THE MEANING OF PAUL FOR TODAY, fontana books, London, 1964.

❋ ❋ ❋

الفهـــرس

صفحة

* * *

كتب للمؤلف

* **العـلوم الذرية الحديثة فى التراث الاسلامى .**
  ٢٣٢ صفحة ــ مكتبة وهبة ــ ١٤ شارع الجمهورية ــ القاهرة .

* **المسيح فى مصادر العقائد المسيحية .**
  ٣٢٨ صفحة ــ مكتبــة وهبــه .

* * *

رقم الايداع بدار الكتب ٣٠٧٧ / ١٩٧٩
الترقيم الدولى ٢ ـ ٣٦٢ ـ ٢٥٦

مطبعة الاستقلال الكبرى
٨ شارع نجيب الريحاني - ت ٤٧٤٨٦

هـــذا الكتاب

* في هذا العصر .. تأكدت **ازمة الحضارة الغربية** نتيجة لطغيان المـادية وتمـرد **الانسان** على الله . وهي الآن تنحـدر بعد ان افسدت الانسـان ومسخته .. وفي هـــذا التفاعل المضـطرب يجـأر المصلحون بالدعوة الى **تجـديد الايمان** كعـلاج وحيـد لمشكلة الانسـان .

* لقد عرفت البشرية الايمـان اسـاسا عن طريق **الأنبياء** والمرسلين وهؤلاء تلقـوه وحيا من الله بطـرق شـتى كانت للملائكة فيـه اليـد الطـولى . من اجل ذلك نستفتح بهـذا الكتاب الذى يحدثنا عن ركيزتين للايمـان همـا « **الملائكة** » و « **الوحى** » بالاضافة الى حديث عن « **الجن** » لعلاقتها بالانسـان ..

* وفي دراستنا لهـــذه الموضـــوعات في **اليهـودية والمســيحية والاسلام** سوف نرى في اى النقاط تتفق تماما وفي ايهـا يوجد ائتلاف أو اختلاف . ومهما يكن من أمر فسوف نرى في النهاية ان **دين الله واحـد** .

* وهنـا نقـول ما يقـوله **الدكتــور نظمي لوقا** في مقـدمة كتابه « **محمد : الرسالة والرسول** » : « من يغلق عينيه دون النور ، يضير نفسه ولا يضير النور . ومن يغلق عقله وضميره دون الحق ، يضـير عقله وضميره ولا يضير الحق » ..